نظـــــرات

في النقـــد الأبـــي القديم

إعداد

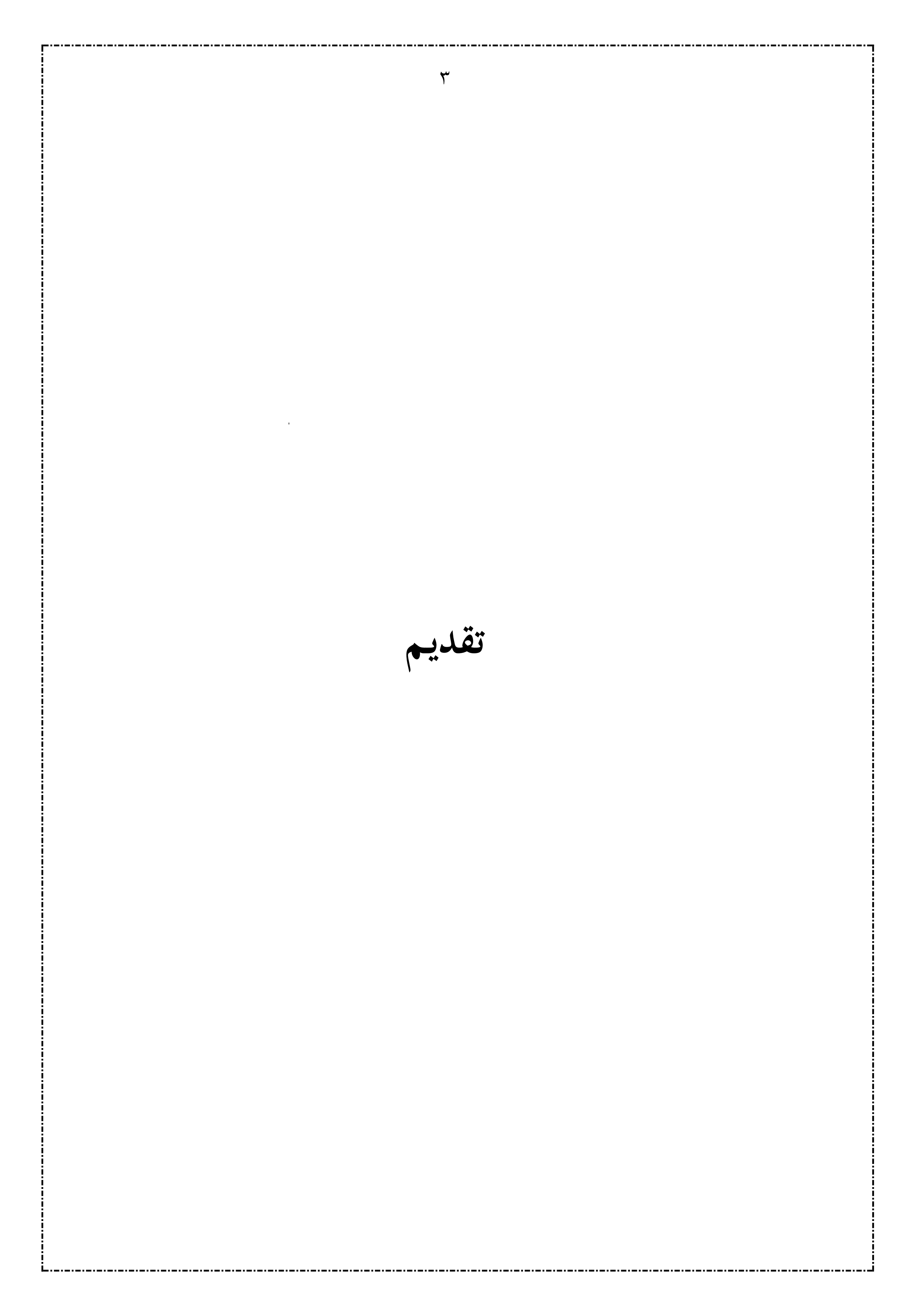
الدكتور / صالح عطية صالح مطر

مكتبة الآداب

٤٢ميدان الأوبرا –القاهرة ت٣٩٠٠٨٦٨

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م



تقديم

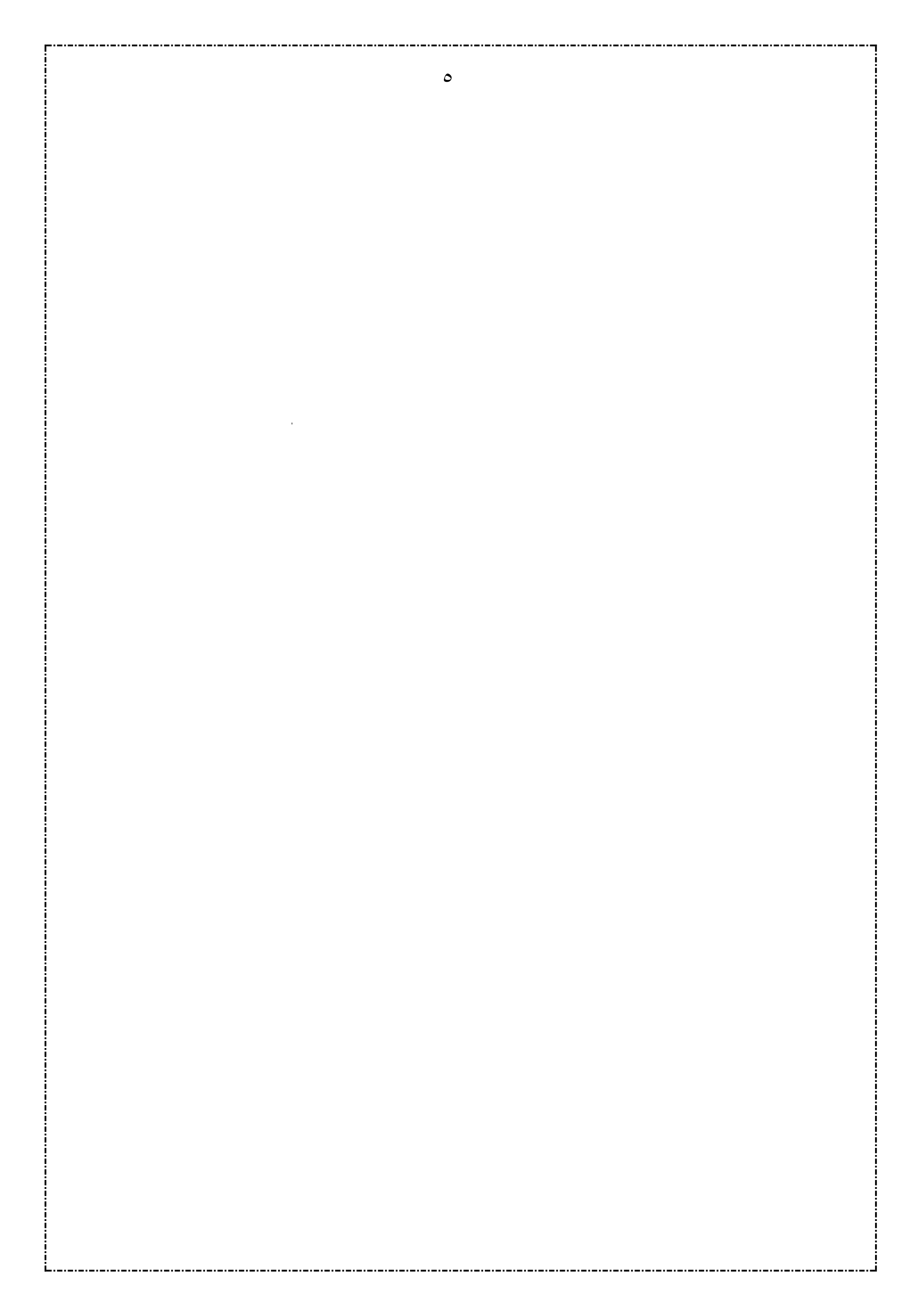
يمثل النقد الأدبي جانبا من جوانب الدراسة الأدبية معتمدا على عدد من القواعد والأحكام مبدعا عدد من النظريات التي تعالج الظاهرة الأدبية في نواحيها المتعددة ، المبدع مؤلف العمل الأدبي ،والمتلقي بوصفه قارئا أوناقدا للعمل الأدبي ، والعمل الأدي نفسه باعتباره بنية لفظية تطرح مدلولا اجتماعيا أوسياسيا أو فكريا أو رمزيا يبغي التأثير والتفاعل مع القارئ والمجتمع ٠

وقد شغل النقد الأدبي عند العرب هذه الجوانب :المبدع والقارئ والعمل الأدبي ،ومنذ بدايته الأولى وصلتنا عدة ملاحظات وأحكام نقدية جمالية وأسلوبية عن الشعر والشاعر من قبل نقاد مبدعين ،وتطور النقد وظهر فيه نقاد متخصصون من مثل قدامة بن جعفر ، والآمدي ،والقاضي الجرجاني ،وابن الأثير ..وغيرهم .كما توصل إلى عدد من القضايا كقضية اللفظ والمعنى ، عمود الشعر والموازنات والسرقات الأدبية .

وهذا الكتاب يحاول التعرف على اصطلاحات النقد من مثل الأدب وتاريخ الأدب والنقد،ثم يتأمل مبادئ النقد الأبي في نشأتها في عصر الرواية الشفهية ٠

وعلى الله قصد السبيل .

دكتور: صالح عطية صالح مطر



الفصل الأول

اصطلاحات نقدية

ينبغي علي من يـدرس النقـد الأدبي لأول مرة .. التعرف على عـدد من الاصـطلاحات التي تمثل مفاتيح ، يقابلها دارسـو الأدب و النقد و دارسـو اللغة العربية بوجه عام .

و تتمثل هذه الاصـطلاحات في ثلاثة اصـطلاحات أسـاسـية هي الأدب ، النقد ، تاريخ الأدب ، فهي مفاتيح كثر دورانها على ألســـنة النقاد و الأدباء ، و احتلت كعنـاوين لعـدد كبير من المؤلفـات الأدبيـة و النقـديـة تتنـاول الأدب و تاريخه و مناهجه و مذاهبه و أعلامه في الأدب العربي القديم فيما قبل الحملة الفرنسية ، و في الأدب الحديث و المعاصر فيما بعد الحملة الفرنسية حتى الآن .

من البديهيات الأولية لآية محاضرات عن النقد الأدبي للطلاب الذين يتدارسونه و يمكن تناول هذه الاصطلاحات بشيء من التفصيل .

أولا : الأدب

لكلمة أدب معنيان معني لغوي ومعني اصطلاحي :

المعني اللغوي :

تطلق كلمة أدب في تراثنا المعجمي علي عدة أمور :

ما يقدم للناس من طعام (مأدبة) وما يقدم للناس من حديث وما يوصف به حديث الشخص من ظرف (أديب) ويلخص ذلك الفيروز آبادي : في قاموسه المحيط :

" (الأَدَبُ) محركة الظرف وحسن التناول أدب كحسن أدب فهو أديب جمع أدباء وأدبه علمه فتأدب واستأدب والأدبة بالضم و المأدبة طعام صنع لدعوة أو عرس وآدب إدابا ملاها عدلا والأدب بالفتح العجب والأدبة بالضم ومصدر أدبه يأدبه دعاه إلي طعام كآدبة إدابا وأدب يأدب أدبا محركة عمل مأدبة " (١)٠

وقد توصل ابن فارس في مقايسه إلي جامع إلي هذه المعاني الظرف ، والمأدبة والعلم والعجب .

وهو أن الأدب في رأيه ما يجمع الناس إليه أو ما يدعي الناس إليه من طعام أو حديث أو ما شابه ذلك . ويؤدي بطرف أو حسن تناول ويثير عجب أو دهشة في قوله : " (أدب) الهمزة والدال والباء أصل واحد تتفرع مسائله وترجع إليه ..فالأَدْبُ أن تجمع إلي طعامك وهي المأدَبَة والمأْدُبَة والآدب هو الداعي ....

ومن هذا القياس الأَدَبُ أيضا لأنه مجمع علي استحسانه فأما حديث عبدالله بن مسعود .." إن هذا القران مأدبة الله تعالي فتعلموا من مأدبته " قال أبو عبيدة " من قال مأدبة فإنه أراد الصنيع الذي يصنعه الإنسان يدعوا إليه الناس " (٢)

ويصدق هذا القول بقول ابن منظور .." وأصل الأدب الدعاء " (٣) ، ومن ذلك الأدب بمعني ما يتعلمه المتأدب ويعلمه المؤدب للمتعلم وهو الأدب .

وقد فصله ابن منظور بقوله :

" الأَدَبُ ... الذي يتأدب به الأديب من الناس سمي أدبا لأنه يأْدُبُ الناس إلي المحامد ، وينهاهم عن المقابح وأصل الأدب الدعاء " (٤) ٠

ويستنتج من ذلك : أن الأدب يعني لغويا :

(أ) الأدب : ما يدعي إليه الناس من الحديث والاستماع والمعرفة .

(ب) الأدب :ما تعلمه وتأدب به الأديب من الدعوة إلي المحامد والبعد عن المقابح.

ويري الأستاذ نلينو المستشرق الإيطالي ت ١٩٣٨م أن كلمة أدب تشتق من الدأب بمعني العادة ، " فهو يشتقها من الدأب بمعني العادة ، ويري أن هذه الكلمة لم تشتق من المفرد وإنما اشتقت من الجمع ؛ فقد جمعت دأب علي أدآب ثم قلبت فقيل آداب كما جمعت بئر ورئم علي آبار وآرام ثم قلبت فقيل آبار وآرام " (٥) ٠

وقال الأستاذ نلينو : " وكثر استعمال الآداب جمعا للدأب حتى نسي العرب أصل هذا الجمع وما كان فيه من قلب ، وخيل إليهم أنه جمع لا قلب فيه فأخذوا منه مفرده أدبا لا دأبا وجري استعمال هذه الكلمة ثم انتقل من هذا المعني الطبيعي القديم إلي معانيه الأخرى المختلفة " (٥) ٠

ويري البعض أيضا أن كلمة أدب ليست عربية وإنما سومرية الأصل وأخذها الساميون عن السومريين واحتفظت بها اللغة العربية (٦) ٠

والحقيقة التي لا مراء فيها أن كلمة (أدب) كلمة عربية أصلية صحيحة لا عجمة فيها

المعني الاصطلاحي :

يبدوا أن المعني اللغوي لكلمة أدب قد استقر في البيئة العربية بين النقاد والأدباء منذ العصر الجاهلي وحتى ظهرت أول محاولة لتعريف الأدب تعريفا اصطلاحيا علي يد ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد الحضرمي) ت٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م في القرن التاسع الهجري أي في العصر المملوكي ٠

ومنذ العصر الجاهلي وحتى تعريف ابن خلدون تعددت مفاهيم مصطلح " أدب " في البيئة الثقافية والأدبية ، ففي العصر الجاهلي وردت كلمة أدب في شعرهم ونثرهم بمعنى الدعوة إلى الطعام والمآدب (٧) ، وفي عصر صدر الإسلام وردت كلمة "أدب " بمعنى التأديب والتهذيب والتربية عما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم : " أدبني ربي فأحسن تأديبي " (٨) ٠

وفي العصر الأموي شاع استخدام كلمة أدب وأصبحت عنواناً على وسائل التربية والتعليم ، وتخصص مجموعة من المعلمين في تعليم أبناء الخلفاء والأمراء (أي في تأديب أبناء الخلفاء) ، وأطلق عليهم المؤدبون مثل معبد الجهني ، عامر الشعبي ، وكانا يعلمان أولاد عبد الملك بن مروان ، وصالح بن كيسان مؤدب بُني عمر بن عبد العزيز ، والجعد بن درهم مؤدب مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين (٧) ٠ وقد أطلق على ما يتلقاه طالب العلم من شعر ونثر وقصص وأخبار وأنساب وتفسير " أدباً " ، ليتثقف به الطالب ويتهذب سلوكه بالمعارف العربية المختلفة في عصره .

وفي العصر العباسي تطورت كلمة أدب لتشمل : الشعر والنثر واللغة والنحو والعروض والبلاغة والأنساب والأخبار والتاريخ ، بشكل أقرب إلى طبيعة الأدب وذلك بفعل التطور الحضاري والتغير الاجتماعي وتعدد نواحي الثقافة ، ثم أخذ مدلول كلمة أدب يضيق حتى توقف عند علوم اللغة والشعر والنثر في أواخر القرن الخامس وجرى به الاستعمال ، حتى جاء ابن خلدون فوضع تعريفه رغم ما فيه من اضطراب (٧) .

ولا يظفر الباحث بتعريف للأدب في كتب الأدب قبل مقدمة ابن خلدون ، فهو أول من قدم تعريفاً للأدب ، ويبدو أن النقاد والمتأدبين عرفوا الأدب ممارسة وتعليماً ، وارتبط ذلك بظروف حياتهم وتطور المستوى الفكري والثقافي من عصر إلى آخر .

وقد عرف ابن خلدون الأدب تعريفاً جامعاً غير مانع ، جامعاً لكل علوم عصره اللسانية والدينية غير مانعة واحداً من علومها من الدخول في التعريف ، وذلك في قوله " هذا العلم لا موضوع له ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها ، وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته وهي الإجادة في فني المنظور والمنثور على أساليب العرب ما عساه تحصل به الكلمة من شعر عالي الطبقة وسجع متساو فى الإجادة ومسائل فى اللغة و النحو مبثوثة أثناء ذلك متفرقة يستقرى منها الناظر فى الغالب معظم قوانين اللغة العربية مع ذكر بعض من أيام العرب يفهم به ما يقع فى أشعارهم منها وكذلك ذكر المهم من الأنساب الشهيرة والأخبار العامة والمقصود بذلك كله أن لا يخفى على الناظر فى كلام العرب وأساليبهم ومناحى بلاغتهم إذا تصفحه لأنه لا تحصل الملكة من حفظه إلا بعد فهمه ؛ فيحتاج إلى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه ٠ ثم إنهم إذا أرادوا حد هذا الفن قالوا الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارهم والأخذ من كل علم بطرف يريدون من علوم اللسان أو العلوم الشرعية من حيث متونها فقط وهى القرآن والحديث إذ لا محل لغير ذلك من العلوم فى كلام العرب إلا ما ذهب إليه المتأخرون عند كلفهم بصناعة البديع من التورية فى أشعارهم وترسلهم بالاصطلاحات العلمية فاحتاج صاحب هذا الفن حينئذ إلى معرفة اصطلاحات العلوم ليكون قائما على فهمها ٠٠٠ " (٩) .

ويؤخذ على كلام ابن خلدون أنه :

أ –أغفل تعريف العلم (الأدب) لغويا واصطلاحيا .

ب– نفى موضوع العلم .

ج– نفى مسائل العلم .

د- أثبت ثمرة العلم وهى الإجادة فى فني المنثور على أساليب العرب ومناحيهم ولعل الشعر المنظوم يضبطه الوزن والقافية ، والنثر فيزينه السجع المتساوى .

هـ- أثبت العلوم المساعدة فى اتقان الشعر والنثر وهى علوم واسعة هى

* علوم اللسان : النحو والصرف واللغة والبلاغة
* علوم الشريعة : القرآن الكريم والحديث الشريف .
* علوم أخرى : معرفة أيام العرب ، ومعرفة الأنساب

لكن رغم هذا الاضطراب فإنه يمكن استنتاج :

١- أن موضوع الأدب هو فني الشعر المنظوم والنثر المسجوع .

٢- أن الغرض منه هو إجادة فني الشعر والنثر خاصة أن ابن خلدون ذكر أن أصول فني الأدب و أركانه في أربعة كتب رئيسية هي (أدب الكاتب لابن قتيبة – الكامل للمبرد – البيان و التبيين للجاحظ – النوادر لأبي علي القالي البغدادي) ، و هي كتب تتخصص في الأدب بجانبيه الشعر و النثر ، مما يعني فهم ابن خلدون نظريا و ممارسة ، كما فهم النقاد العرب القدماء أن الأدب يعني فني الشعر و النثر .

٣- وسائل الإتقان و الإجادة ترتكز على القواعد التعليمية في علوم اللسان فهي تمد الطالب بقواعد الإجادة لغة ، وموسيقى ونحوا و صرفا و دلالة سليمة و براعة تصويرية في فنون النحو و الصرف و العروض و اللغة و البلاغة ، و علوم شرعية تمد الطالب بدروس في معرفة العقائد و العبادات و المعاملات تعين الطالب على الفهم و علوم خاصة بالتاريخ و الأنساب و أيام العرب تعين على فهم القصيدة القديمة و مجازاتها لحظات إبداع مثيلتها .

و من هنا فالأدب اصطلاحا هو ما أبدعته العقول العربية في فني الشعر و النثر و هما قمة العلوم اللسانية و البيانية و الشرعية .

ويكاد يقترب ابن خلدون تماما من مناهج أقســـام اللغة العربية بكليات اللغة العربية ودار العلوم الآداب مثلا في تقسيمها لموادها الدراسية إلى علوم أدبية تدرس الأدب في عصـــوره التاريخية ، وعلوم لســـانية تتمثل في علم اللغة وفقه اللغة والنحو والصـــرف والعروض والبلاغة ، وعلوم شـــرعية تتمثل في دراســـة القرآن الكريم وعلومه والحديث الشريف وعلومه والعقائد والعبادات في مادة الدراسات الإسلامية بالإضافة إلى العلوم المساعدة كالتاريخ والفلسفة وعلم النفس مع زيادة اللغات الأجنبية .

ففي كلية دار العلوم ، وحسب اللائحة الداخلية للكلية لسنة ١٩٧٥م توزعت المواد الدراسية في مرحلة الليسانس على النحو الآتي :

الفرقة الأولى : نحو /وصرف وعروض / تاريخ الأدب / الأدب والنصوص /علم اللغة / البلاغة / البلاغة – مدخل إلى البلاغة والنقد / البيان / القرآن الكريم والعبادات / الأخلاق /التاريخ الإسلامي / اللغة الأوربية ٠

الفرقة الثانية : نحو /وصرف وعروض / تاريخ الأدب / الأدب والنصوص /علم اللغة / عبري أو فارسي / معاني وبيان / نقد أدبي قديم / القرآن الكريم والأحوال الشخصية/ المنطق وعلم الكلام/ التاريخ الإسلامي / اللغة الأوربية ٠

الفرقة الثالثة : نحو /وصـــرف / تاريخ الأدب / الأدب والنصـــوص / عبري أو فارســـي /علم اللغة / نقد أدبي / التفسير والحديث / الفلسفة الإسلامية / التاريخ الإسلامي / اللغة الأوربية ٠

الفرقة الرابعة : نحو /وصرف / تاريخ الأدب / الأدب والنصوص /علم اللغة/ دراسات سامية أو شرقية أو مقارنة / أدب مقارن / التفسير والحديث / الفلسفة الإسلامية / التاريخ الإسلامي / الحضارة الإسلامية / اللغة الأوربية (١٠) ٠

وهي تنحصر في :

* علوم الأدب : تاريخ الأدب / الأدب والنصـــوص حســـب العصـــور : الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي والمملوكي والتركي والحديث / أدب مقارن ٠

علوم نقد الأدب : نقد أدبي قديم / نقد أدبي ٠

* علوم اللسان : النحو والصرف والعروض واللغة والبلاغة (معاني – بيان – بديع)

* علوم الشــريعة : القرآن الكريم والتفســير والحديث الشــريف والعبادات والأخلاق والأحوال الشخصية .

* علوم أخرى : التاريخ الإسـلامي والحضـارة الإسـلامية والفلسـفة الإسـلامية / المنطق وعلم الكلام/ دراسات سامية أو شرقية أو مقارنة٠

* لغات مساعدة : / عبري أو فارسي / اللغة الأوربية (١٠) ٠

وفي قســم اللغة العربية والدراســات الإســلامية بكلية الآداب جامعة القاهرة ، ووفقا لما ورد في اللائحة الجديـدة التي أقرتها الجامعة بموجب القرار الوزاري رقم ٢٤٢ بتاريخ ١١/٣/ ١٩٩٣م ، والقرار الوزاري رقم ١٦٩٨ بتاريخ ١٠/١٢/١٩٩٤م ، بشـــأن إجراء بعض تعديلات على اللائحة الداخلية لكلية الآداب جامعة القاهرة ٠٠توزعت المواد الدراسية في مرحلة الليسانس على النحو الآتي :

الفرقة الأولى :مدخل إلى الدراسة الأدبية / الأدب الجاهلي ونصوصه / علم اللغة العام / مناهج البحث / النحو والصرف / مصادر التراث العربي / البلاغة العربية / العروض والقافية / علم النفس العام / حضـــارة العرب قبل الإســـلام/ اللغة الأوربية الحديثة والترجمة ٠

الفرقة الثانية : الشعر في عصر صدر الإسلام وبني أمية / النثر في صدر الإسلام وبني أمية / الأدب المغربي والأندلسي / البلاغة العربية /النحو والصرف / علم الأصوات / الفلسفة الإسلامية / علوم القرآن والحديث / الحضارة الإسلامية (المؤسسات والنظم والفنون)/ اللغة الأوربية الحديثة والترجمة ٠

الفرقة الثالثة : النثر العباسي / الشعر العباسي / أدب مصر الإسلامية / الأدب المغربي والأندلسي / النحو والصرف/موسيقى الشعر / علم الدلالة / النقد العربي القديم / التصوف الإسلامي / علم الحديث النبوي / اللغة الأوربية الحديثة والترجمة

الفرقة الرابعة : الشعر العربي الحديث / الأدب الشعبي / فن القص / فن المسرح / الأدب المقارن / أدب مصر الإسلامية / النحو والصرف / اللغة الشرقية (سامية أو إسلامية)/مذاهب النقد العربي الحديث/ علم اجتماع الأدب (١١) ٠

<u>وهي تنحصر في :</u>

* علوم الأدب : مدخل إلى الدراسة الأدبية / الأدب الجاهلي ونصوصه / الشعر في عصر صدر الإسلام وبني أمية / النثر في صدر الإسلام وبني أمية / النثر العباسي / الشعر العباسي / الأدب المغربي والأندلسي / الشعر العربي الحديث / فن القص / فن المسرح / الأدب المقارن / الأدب الشعبي/ أدب مصر الإسلامية ٠

* علوم النقد الأدبي : النقد العربي القديم / مذاهب النقد العربي الحديث / مناهج البحث / مصادر التراث العربي ٠

* علوم اللسان : النحو والصرف وموسيقى الشعر (العروض القافية) / وعلم اللغة : علم الأصوات وعلم الدلالة / والبلاغة (معاني – بيان – بديع) ٠

* علوم الشريعة :التصوف الإسلامي / علم الحديث النبوي علوم القرآن والحديث. * علوم أخرى : التاريخ الإسلامي وحضارة العرب قبل الإسلام/ الحضارة الإسلامية (المؤسسات والنظم والفنون / الفلسفة الإسلامية / التصوف الإسلامي / علم اجتماع الأدب / علم النفس العام٠

* لغات مساعدة : اللغة الشرقية (سامية أو إسلامية)/ اللغة الأوربية الحديثة والترجمة وفي كل ذلك ما يؤيد تعريف ابن خلدون للأدب وتقسيمه للعلوم المساعدة ٠

وتمثل علوم الأدب الركيزة لتكوين الأديب المبدع القدر على التأليف حســـب القواعد اللغوية التي تمده بها العلوم اللســـانية ، مســـتفيدا مما يختزنه من معلومات وأفكار من العلوم الأخرى من علوم الشريعة أو التاريخ وغيرها ٠

المعنى الاصطلاحي الحديث للأدب :

و الأدب في معناه الحديث يطلق على معنيين :

الأول : مادة الأدب فن الكتابة من آثار خطية ونثرية وشعرية ، من قصيدة شعرية أو قصة أو أقصوصه أو مسرحية ، و يستوعب الأدب في ذلك معظم الفنون الأخرى ، و يتجاوزها باستعماله الأصوات ، و الجرس ، و تناغم المقاطع هو الموسيقى و بالتأليف و التركيب و اللون و براعة الأسلوب ٠٠(١٢) .

الثاني : باعتباره علما يدرس صلة مادة الأدب بالمبدع والمتلقي والمجتمع ، في كشفه عن المشـــاعر من أفراح ، و الآم و تصـــوير الأخيلة و الأحلام و كل ما يمر في الأذهان من الخواطر من غاياته أن يكون مصدرا من مصادر المتعة المرتبطة بمصير الإنسان و قضاياه الإجتماعية بحاضـــره ، وفي تعبيره عن حالة المجتمع البشـــري والعواطف التي تعتمل في نفوس شعب أو جيل من الناس ، أو أهل حضارة من الحضارات و موضوعه و صف الطبيعة في جميع مظاهرها ، و في معناها المطلق في أعماق الإنســـان ، و خارج نفســـه بحيث أنه يكشف الكبرى فيؤثر فيها ، و يغذيها بحاضره (١٢) .

وفي علم الأدب ينظر إليه على أنه نشـــاط إنســـاني ينظر إليه من خلال فكر أدبي أو نظرية أدبية تفسر نظريا النشـاط الأدبي : " من حيث ماهيته المميزة له عن سـواه من أوجه النشاط الإنساني ،

ومن حيث مهمته بالنسبة لصاحبه الفنان ، وبالنسبة لآثاره في المتلقي فردا وجماعة ، ومن حيث طبيعة أداته التي يتوسل بها ليوصل آثاره ويحقق مهمته للمتلقي " (١٣) ٠

وتمحورت عملية الإبداع الأدبي حول عناصر رئيسية هي المبدع المؤلف للعمل الأدبي ، والمتلقي المستمع أو القارئ للعمل الأدبي ، والعمل الأبي نفسه ، والعالم أوالواقع الذي يتناوله العمل الادبي ، وتحددت ماهية الأدب في كل نظرية أدبية حول علاقة العمل الأدبي بكل واحد من هذه العناصر ، والأدب فن ، فالأدب تعبير عن الذات المبدعة ، قادر على تصوير خلقها لعالمها ، وهو ما تظهره النظرية الرومانسية ، والأدب محاكاة أو نقل للحقيقة يقدمها في جزئيتها وونقصها للمتلقي ، وهو ما تظهره النظرية الكلاسيكية ، والأدب خلق في النظر إلى العمل الأدبي ذاته (١٤) ٠٠ فالفنان أو الأديب أو " الشاعر ينفعل بموضوعه ويتعاطف معه ، وعليه ألا يعبر عن انفعاله ، بل عليه أن يوجد لهذا الانفعال (معادلا موضوعيا) يساويه ويوازيه ويحدده ، ويعين الشاعر في ذلك عقله ، وتعين الشاعر في تجسيد انفعاله فيما يعادله لغته ٠ أي أن على الشاعر أن يحول عواطفه وأفكاره إلى شيء جديد أو إلى مركب ، إلى خلق جديد " (١٥) ، والأدب انعكاس للواقع وهو ما أقرته النظرية الواقعية (١٦) ، والواقع في الفن أو الأدب واقع أكثر غنى من حقيقته الواقعية لأن الفنان يتخطى معطيات الواقع إلى صورة جديدة فنية تكشف رؤية الذات الغنائية للواقع وتتجاوزه إلى صورة لغد يسعى إلى صنعه (١٦) ٠

عناصر العمل الأدبي :

يعد العمل الأدبي في المقام الأول رسالة محددة قابلة للقراءة و التفسير لأكثر من قارئ ، ويحاول كل قارئ أن يفك شفرة هذه الرسالة بالتعرف على مكونات النص الأدبي من مؤلف و عمل أدبي و متلقي ثم ينفذ إلى العمل الأدبي نفسه محللا أجزاءه من ألفاظ وتراكيب ومعان وصورة وموسيقى ورؤية فكرية للكاتب .

فالمؤلف هو رأس العمل الأدبي ، وهو الذى ينفعل مع الأحداث الشخصية التى تمر به ويتفاعل معها خلال علاقات الحب والكراهية والعداء والصداقة ، ومع الأحداث الوطنية والاجتماعية والتاريخية مكونا فكرا ورأيا يتحولان إلى أدب شعرا أو نثرا ، ويحاول المؤلف أن يوصل رسالته إلى القارئ حتى ينقل فيها أحاسيسه وأفكاره حتى يؤثر فيه كما تأثر هو وتفاعل مع واقعه التاريخى والاجتماعى والفكرى .

والقارئ هو الطرف الثانى من العملية الإبداعية يقرأ أو يسمع أو يشاهد العمل الأدبى ؛ فيحاول جاهدا أن يستمد من الألفاظ والتراكيب والصور والموسيقى ويتفهم رؤية الكاتب لعالمه فى لحظاته التاريخية والاجتماعية ، وينفعل بها كما انفعل الكاتب ، ويؤثر ذلك على سلوكه وفكره . ويحتل القارئ موقعا هاما في العملية الإبداعية ؛ فهو الذي توجه إليه رسالة العمل الأدبي ، ويجب أن يتحلى بثقافة واسعة تساعده في التعرف على طبيعة العمل وفهمه وتفسيره وتحليله وبيان موقفه منه .

و يتوقف تحليل القارئ للعمل الأدبي إلى عناصره المختلفة على :

١ – الألفاظ : يحاول أ ن يفهم مدلولاتها واشتقاقاتها باحثا عن مصادر فهمه لدلالاتها في القاموس أو في العلوم التابعة لها إذا كانت مصطلحات .وبمدلول الاصطلاحات يبحث في المعجم ثم عن الكتب المساعدة في الاصطلاح إذا كانت مفردات من علم التاريخ أو الاجتماع أو الفلسفة و غيره ثم يتعرف على دلالاتها بين الحقيقة والمجاز وهل هي مستعملة في معناها الحقيقي في المعجم أو أن الألفاظ تشير إلى دلالات مجازية

٢- التراكيب : يحاول أن يصف أنواع التراكيب والجمل من اسمية وفعلية وأنواع الجمل من استفهامية وشرطية وبسيطة ومركبة ومعقدة مبينا أسرارها الجمالية واستخدامها فى العمل الأدبي ومعرفة دلالاتها الجمالية في العمل الأدبي وأثرها في بيان رؤية الكاتب دراسة بلاغية جمالية ٠

٣- ا لصور الخيالية : تقوم الصور الخيالية أو الخيال بتلوين الأفكار وإضافة عدد من الظلال والإيحاءات ، والخيال يقوم بتكوين الصور الذهنية والجمع بين الأشياء المتباعدة التي لا ترتبط بزمان أو مكان ؛ وإنما يقوم الخيال بتجميعها في صورة واحدة تتعدد ما بين استعارة وتشبيه ومجاز وكناية ، وقد يلجأ الخيال إلى صورة من الواقع فتظهر في صورة واقعية أو مظهر من مظاهر الحياة ، وقد تبدو القصيدة أو العمل الأدبي في حد ذاته صورة كلية ترتبط بها جميع الصور الجزئية في العمل الأدبي ٠

فالصور أنواع : بلاغية وهي صورة ذهنية وواقعية ورمزية وهي صورة الشيء أو الموقف الذي ينطوي عليه مغزى أخلاقي ٠

٤- الأفكار : تعد الفكرة هى مضمون العمل الأدبى ، والفكرة تتوالد فى نفس الكاتب فى تفاعله مع لحظته التاريخية والاجتماعية والنفسية ، وتتعدد الأفكار من أفكار شخصية تخص حياة الشخص وتجاربه التى مر بها من تجارب حب وصداقة وغيرها ، أو تعبير عن فكرة فلسفية يراها فى الحياة ٠ وقد تكون الفكرة خاطرة أو رأى ينتهي إليه الذهن فى أمر من الأمور أو موقف من المواقف. والخاطرة نوعان : " خاطرة اليقظة الواقعية المتكيفة مع العالم الخارجى والخاضعة للمنطقية ، وهى التى تتكون من الخبرة ومن الاحتكاك بالمجتمع والحياة العملية ...

الخاطرة الانطوائية : الخاضعة للضروريات الانفعالية المتفلتة من أصول المنطق وقيود المجتمع هى التى تعتمد التصورات الرمزية المشبعة بالعاطفة فى التعبير عن ذاتها لدى المصابين بالانفصام أو فى أحلام الأصحاء من الناس وهى فى واقعها خاطرة خاصة فردية تكتفى بالرمز ولا تتطلب لغة للابانة عنها لأنها أصلا غير مهيأة للانتقال معا من صاحبها إلى الآخرين " (١٧) .

٥-العاطفة : حالة وجدانية تنتاب الأديب قد تتغير بالاستقرار والهدوء والدوام وعدم العنف ، وقد تتحول هذه الحالة إلى حالة من العنف وهى الانتقال الذى يتميز بالعنف والثورة وهى وليدة اللحظة وسريعة الزوال .

وتطلق على الحالة الوجدانية الهادئة المشاعر والميول الإيثارية كالحب والصداقة والعطف والاعجاب (١٨) ٠ وهى تقابل الفكر بشدته ، وهى أداة الأديب فى تغليف أفكاره للتأثير والتفاعل مع متلقيه وإثارة عواطفهم من رضا أو قبول أو رفض أو سخط أو ألم أو أمل أو حزن أو أسى وهى تحرك العمل الأدبى من لفظ وتراكيب وصور خيالية ، وتحرك الأفكار والآراء ، وهى دافع للتجديد فالكاتب الذى تخمد عواطفه لانرى له براعة فى الفكر أو اللفظ أو الصورة .

٦-الرؤيا :الفكرة العامة والرسالة الأساسية التى يحاول الأديب أن يوصلها إلى قرائه وهى " تمثل له ما هو غير موجود على أنه موجود ، وذلك عن طريق الإحساس الرهيف والخيال المبدع " (١٩) ، أى أن هذه الفكرة العامة أعمق وأكبر من العاطفة والصورة ، وما هذه إلا أدوات صغيرة لتوصيلها ، وهذه الرؤيا تفرد الفنان أو الأديب عن الآخرين وتميزه بالحساسية والفكر المفرط وقدرته على النفاذ إلى كوامن الأشياء وهى تمثل قصدية الأديب والمغزى الأساسى من عمله الأدبى .

ويســـتطيع القارئ النفاذ إلى هذا المغزى والفكرة العامة للنص الأدبي باتباع طرق التأويل فى استنباط معنى معين لنص ما أو المغزى من قصة رمزية أو قصيدة رمزية .
ويكثر هذا النوع من المغزى أكثر فى القصــائد الرمزية أو القصــص الرمزية ، لكن هذه الرؤيا تكمن وراء كل عمل أدبي ، و هى التى تدفع الكاتب إلى تشكيل صوره و اختيار أفكار الجزئية و تركيب عباراته و اختيار مفرداته . أي هى المحرك الأســـاســـي للعمل الأدبي .

ثانيا : تاريخ الأدب

يعد هذا المصطلح جديدا على تراثنا العربي فهو من مصطلحات العصر الحاضر وهو يخص منهجا من مناهج دراسة الأدب اعتمادا علي التاريخ حيث يعني " تطبيق مناهج التاريخ علي وصف الأدب في عصر أو في عصور متتالية عند شعب واحد أو شعوب مختلفة ..... " (٢٠) ، فالمؤرخ يدرس الأدب علي أنه عصور سياسية تاريخية متطورة ، فيحاول أن يربط بين إنتاج الأديب واتجاهات الأدب في عصر معين وبين الظروف التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي يمر بها هذا العصر ، فيبدو الأدب نتيجة طبيعية لتأثير وتفاعل بين الأحداث التاريخية وعناصر الأدب ٠

ويمكن للباحث ضمن هذا المنهج أن يتناول علما من الشعراء أو أديبا الأدباء أو ظاهرة أدبية كالنقائض مثلا أو جماعة أدبية ويقوم بالشرح والتحليل وبيان العوامل التاريخية والسياسية والاجتماعية التي تفسر هذه الظاهرة الأدبية تفسيرا تاريخيا .

فتاريخ الأدب هو منهج نقدي أدبي يتعامل مع الأدب بوصفه ظاهرة تاريخية متطورة تتأثر بالعوامل السياسية والاقتصادية والتاريخية والاجتماعية جاعلا من الأدب صورة من التاريخ ، والباحث في تاريخ الأدب يتوقف :

أولا : علي الظروف الزمانية للعصر أو الشاعر أو الظاهرة الأدبية تاريخية ، سياسية ، اجتماعية .

ثانيا : انطباع هذه الظروف علي أدب هذا العصر أو الشاعر أو الظاهرة الأدبية .

فعلي سبيل المثال في دراسة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف للعصر الجاهلي يبدأ الدراسة بفصول :

الأول : الجزيرة العربية وتاريخها القديم .

الثاني : العصر الجاهلي .

الثالث : الحياة الجاهلية .

الرابع : اللغة العربية .

وهي فصول تدور حول تاريخ الجزيرة وتحديد طبيعة حياتها السياسية وأمارتها وحياتها الاجتماعية واللغوية ، وتعد هذه الظروف التاريخية والسياسية والاجتماعية واللغوية مهادا يفسر علي أساسه ما يدور حول الأدب في الفصول التالية .

الخامس : رواية الشعر الجاهلي وتدوينه .

السادس : خصائص الشعر الجاهلي .

السابع : امرؤ القيس .

الثامن : النابغة

لتاسع : زهير

العاشر : الأعشى

الحادي عشر : طوائف من الشعراء .

الثاني عشر : النثر الجاهلي .

وبهذا جمع الناقد بين جانبين :

الأول : الظروف التاريخية والسياسية والاجتماعية والدينية واللغوية كأساس يفسر عليه الجانب الثاني .

الثاني : الشعر الجاهلي وروايته وخصائصه ودراسة لحياة شعرائه وشعرهم وتأثرهم بالظروف التاريخية والسياسية .... ثم دراسة للنثر الجاهلي أيضا بنفس الطريقة .
وبهذا يكون الناقد قد درس الأدب في العصر الجاهلي حسب المنهج التاريخي .

انتقل المنهج التاريخي من الدراسات الاستشراقية الألمانية إلي الدارسين العرب ؛ فقد ظهرت أولي هذه المحاولات علي يد يوسف هامر بورجستال في كتاب نشره في فينيسيا عام ١٨٥٠ م ثم علي يد أربتنوت عام ١٨٩٠ م والفريد فون كريمر وأخيرا كارل بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي الذي بدأ كتابه عام ١٨٩٨ م وترك أثره في كل الدراسات التي تنتهج هذا المنهج حتى آدم متز في كتابه " الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري " (٢١) .وألف الباحثون كتبا في هذا المنهج ، ويرى بروكلمان أن كتاب هامر – على سعته وضخامته – لم يعد يمكن الانتفاع به ؛ لان ظهر في وقت لم تكن أهم مصادر تاريخ الأدب قد عرفت بعد ، وهو لم يكن على علم كاف بالعربية ، ومثله في ذلك كتاب أربتنوت على إيجازه .
وتلا ذلك كتاب نيكلسون الذي نظر إلى الأدب العربي في ضوء التاريخ السياسي والعمراني للعرب والإسلام ، وكتاب آدم متز الذي اقتفى أثر نيكلسون (٢٢) ٠
وأول من أدخل هذه الدراسة إلي الأدب العربي من الباحثين هو حسن توفيق العدل في كتابه " تاريخ الأدب العربي " ، وكان قد تخرج في دار العلوم عام ١٨٨٧م ، واختير بعد تخرجه معلما للغة العربية بالمدرسة الشرقية ببرلين ، فمكث في برلين خمس سنوات أو أكثر ، علم فيها كثيرا من المستشرقين الألمان ، ولم يأل جهدا في تغذية وطنه بما كسبه من ثقافة الألمان وعلومهم ، فكان يفيد منهم الكثير ، ثم عاد إلى دار العلوم ليعمل مدرسا ، ثم سافر إلى كمبردج بانجلترا لتدربس اللغة العربي ، غير أنه توفي هناك في ٣يونية سنة١٩٠٤ م ٠

وقد من المؤلفات :

١- البيداجوجا

٢- رسائل البشرى في السياحة بألمانيا وسوسيرا ٠

٣- الرحلة البرلينية

٤- مرشد العائلات إلى تربية البنين والبنات – التربية الجسمية ٠

٥- تاريخ آداب اللغة العربية (٢٣) ٠

واتيح للعدل وهو في ألمانيا أن يتصل برجال الاستشراق ، وخاصة بروكلمان الذي كان قد وضـــع كتابه في تاريخ الأدب العربي وفق العصـــور ، وإن لم يظهر مطبوعا إلا عام ١٨٩٨م ، ويبدو أن طريقته قد صــــادفت هوى وإعجابا عند العدل ، فلما عاد ليعمل مدرسا بمدرسة دار العلوم ، قدم طريقة بروكلمان في تاريخ الأدب على شكل مذكرات ، وأعطاها عنوان (تاريخ آداب اللغة العربي) ، وقد طبعت بعد وفاته عام ١٩٠٦م (٢٤) ٠

وقد صاغ نظرية تقسيم العصور الأدبية في شكلها الأول الذي لم تكد تحيد عنه دراسة الأدب العربي حتى الآن :

فقد قسم العصور إلي خمسة :

١- عصر الجاهلية . ٢- عصر ابتداء الإسلام .

٣- عصر الدولة الأموية . ٤- عصر الدولة العباسية والأندلس

٥- عصر الدول المتتابعة إلي هذا العهد .

وتابعه بعد ذلك مع تغيير كل من : أحمد الاسكندري (١٩١١ – ١٩١٢) في كتابه " الوسيط في الأدب العربي " ط ١٩١٩ بمصر وأحمد حسن الزيات في كتابه " تاريخ الأدب العربي " ط ١٩٢٥ م وغيرهم مثل أحمد محمد حسن المرصفي ١٩٠٨ م وعبد الله دراز ١٩١٠ م (٢٥) .

وقد قسم تاريخ الأدب في إطار ذلك إلي خمسة عصور هي :

١- عصر ما قبل الإسلام (الجاهلي) :ويمتد في فترة ما قبل ظهور الإسلام وتبدأ هذه المرحلة من عام ٥٤٠ ق م وتنتهي عام ٦١٠ ق م قرابة قرن ونصف من الزمان ويسمي أدب هذه الفترة : الأدب الجاهلي .

٢-العصر الإسلامي : ويمتد من ظهور الإسلام والرسول صلي الله عليه وسلم حتى سقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م ، ويقسمه بعض المؤرخين إلي عصرين هما :

أ - عصر صدر الإسلام ويمتد من ظهور الإسلام حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين .

ب- العصر الأموي ويمتد من بداية الدولة الأموية حتى سقوطها ويسمي أدب هذه الفترة الأدب الأموي كما يسمي أدب صدر الإسلام ،و الأدب الأموي الأدب الإسلامي.

٣- العصر العباسي : ويمتد من نهاية العصر الأموي وقيام الدولة العباسية حتى سقوط بغداد في يد التتار سنة ٦٥٦ هـ / ١٣٥٨ م .

وقد قسم بعض المؤرخين هذا العصر إلي قسمين : العصر العباسي الأول ويمتد مائة عام ، والعصر العباسي الثاني ويستمر بقية العصر ، ومن المؤرخين من يقسمه إلى ثلاثة أقسام :

العصر العباسي الأول ويستمر مائة عام والعصر العباسي الثاني ويستمر حتى ٣٣٤هـ / ٩٤٥ م ، وهي السنة التي استولي فيها البويهيون علي بغداد والعصر العباسي الثالث ويمتد حتى استيلاء المغول علي بغداد .

وقد يقسم بعض المؤرخين هذا العصر العباسي الثالث قسمين الأول يمتد حتى دخول السلاجقة بغداد عام ٣٤٧ هـ / ١٠٥٥ م ، والثاني يستمر حتى بقية العصر ويسمي أدب هذه الفترة الأدب العباسي ويضاف إلي الأدب العباسي الأدب الأندلسي .

٤- عصـر الدول والإمارات : وهو العصـر المملوكي والعصـر التركي ويبدأ باسـتيلاء المغول علي بغداد عام ٦٥٦هـ / ١٣٥٨ م ويستمر في العصرين المملوكي والتركي حتى مجيء الحملة الفرنسية إلي مصر عام ١٣١٣هـــ / ١٧٩٨ م ويسمي أدب هذه الفترة الأدب التركي و الأدب المملوكي أو أدب الدول والإمارات (٢٦) .

٥- العصر الحديث : وهو يمتد منذ نزول الحملة الفرنسية إلي مصر حتى اليوم والبعض يقسمه إلي مرحلتين :

الأولي : عصر النهضة ويمتد حتى الحرب العالمية الأولي ٠

والثانية :العصر الحديث حتى الآن ٠

وأدب هذه الفترة يسمي الأدب الحديث أو أدب النهضة أو الأدب الحديث .

ومما تجدر إضـــافته الإشـــارة إلي امتداد هذا المنهج بالرغم من ظهور مناهج أخري فقد ترجم كتاب بروكلمان عن " تاريخ الأدب العربي " وأصـــبح علامة بارزة علي المنهج والمحتوي .

وقد قسم تاريخه علي مرحلتين أساسيتين هما :

الأولى: أدب الأمة العربية من أوله إلي سقوط الأمويين سنة ١٣٢ هـــ وهي تنقسم إلي ثلاثة أقسام :

أ – الأدب العربي إلي ظهور الإسلام .

ب- عصر النبي محمد صلي الله عليه وسلم .

جـ – عصر الدولة الأموية .

الثانية :الأدب الإسلامي باللغة العربية وقسمه إلي خمسة أعصر :

أ- عصر ازدهار الأدب في عهد العباسين بالعراق منذ حوالي (٧٥٠م – ١٠٠٠م)

ب-عصـر الازدهار المتأخر للأدب منذ سـنة ١٠٠٠ تقريبا إلي سـقوط بغداد علي يد هولاكو سنة ١٢٥٨ م أي سنة ٦٠٦ هـ

ج–عصر الأدب العربي من سيادة المغول إلي فتح مصر علي يد السلطان سليم الأول سنة ١٥١٧ م .

د–عصر الأدب من سنة ١٥١٧ م حتى أواسط القرن التاسع عشر .

هـ–الأدب العربي الحديث .

وقد بدأ هذا المنهج بدراسة الأدب بشكل عام وشامل عبر العصور المتعاقبة ، ثم اتسع مجاله لدراسة الظوهر الأدبية والشخصيات الأدبية ، يتتبع الظاهرة الأدبية تتبعا تاريخيا يواكب نشأتها وتطورها عبر العصور ، يتتبع الشخصيات منذ ولادتها وحياتها وما حققته من تطور أدبي أو فكري ..

ومن أروع الأمثلة علىدراسة الأدب بشكل عام وشامل دراسات شوقي ضيف في موسوعته عن تاريخ الأدب العربي في كتبه العشر: العصر الجاهلي ، العصر الإسلامي ، العصر العباسي الأول ، العصر العباسي الثاني ، عصر الدول والإمارات : الجزيرة العربية – العراق – إيران ومصر والأندلس والشام وغيرها. وكذلك د. إبراهيم علي أبو الخشب في كتابه " تاريخ الأدب العربي " ذي الخمسة أجزاء (٢٧) .

ومن أروع أمثلة دراسة الظواهر الأدبية حسب المنهج التاريخي كتاب : (حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة) للدكتور يوسف خليف تتبع فيها حياة الشعر في الكوفة منذ تأسيسها في خلافة عمر بن الخطاب حتى ظهور بغداد ، تناول فيه جوانب الحياة المختلفة وتطور حركتها التاريخية على مدى قرنين ، وانعكاسها في الأدب مقسما الدراسة إلى بابين هما :

الباب الأول: عن الحياة السياسية والاجتماعية والعقلية في ثلاثة فصول .

الباب الثاني : تعبير الشعر عن هذه وتصويره لها في ثلاثة فصول (٢٨) .

ومن أفضل نماذج الشخصيات دراسة الدكتور طه حسين في كتابه (مع المتنبي) ، وقد صحب فيها المتنبي منذ ولادته (٣٠٣هـ) ، وحتى وفاته (٣٥٤هـ) على خمس مراحل ربط فيها بين حياته والشعر ، في خمسة فصول ربط فيها بين أحداث حياته وما صاحبها من شعر صورها وعبر عنها وسجل خطواتها من ناحية أخرى هي : صبا المتنبي وشبابه ، ثم في ظل الأمراء ، ثم في ظل سيف الدولة ، ثم في ظل كافور ، ثم غنيمة الإياب (٢٩) ٠ واستمر النهج التاريخي في الكتب التي ترصد لأدب الأقاليم .

ثالثا: النقد

المعني اللغوي :

اشـــتقت كلمة " النقد " من الفعل نَقَدَ ينقد نَقْدًا ، ونقد الدراهم أي ميز زيفها من حسنها ..... كما جاء في لسان العرب " .... والنقد والتنقاد : تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها ... ونقدت الدراهم وانتقدتها ، إذا أخرجت منها الزيف ..... " (٣٠) ٠

ويري ابن فارس أن مادة " نقد " تدل علي إبراز شـــيء وبروزه ومنها كشـــف حاله في الجودة أو السوء ...... حيث يقول:

" النون والقاف والدال أصل صحيح يدل علي إبراز شيء وبروزه ....

ومن الباب : نقد الدراهم وذلك أن يكشـــف عن حاله في جودته أو غير ذلك ودرهمٌ نَقْدٌ : وازنٌ جيد كأنه قد كشف عن حاله فعلم " (٣١) ٠

ويضيف ابن فارس معنى آخر لكلمة نقد وهو:

كثرة النظر في الشيء وإليه " وتقول العرب : ما زال فلان ينقد الشيء إذا لم يزل ينظر إليه " (٣٢) ٠

ويضـيف صـاحب لسـان العرب معني آخر لكلمة نقد وهو نقر الإصـبع أو نقر الطائر بمنقاره " .... ونقد الشـيء ينقده إذا نقره بإصـبعه كما تنقر الجزرة ... ونقر الطائر إلخ ينقره بمنقاره أي ينقره " (٣٣) ٠

غير أن المعني الذي مال إلي مدلول اصــطلاح النقد ، ومفهومه كان النقد بمعني التمييز (للدراهم) أو كثرة النظر إلي الشيء .

المعني الاصطلاحي :

ويبدو أن معني التمييز من الجيد والرديء ممارسة دون تحديد نظري للنقد كان سائدا في الملاحظات النقدية في تفضــيل النابغة الذبياني للأعشــي على الخنســاء والخنســاء علي حسان بن ثابت دون الاعتماد علي أصول واضحة أو قواعد منظمة غير الحكم النظري ، وفي تلقيبهم الشعراء بأسماء المنخل والمهلهل و النابغة في العصر الجاهلي (٣٤) ٠
وأول من عد النقد مصـــطلحا محددا هو الجاحظ غير أنه لم يقدم تعريفا (٣٥) ، ويعد قدامة بن جعفر ت ٣٣٧ هــ أول من قدم تعريفا للنقد في كتابه نقد الشعر فقد عرف النقد الشــعري بأنه " علم جيد الشــعر من رديئه " (٣٦) ، ورأي أنه لا يوجد كتاب في النقد الشــعري وهو أولي بالحديث عن الشــعر ؛ ولذلك فقد وضــع كتابه هذا في نقد الشعر يقول " .. وقد عني الناس بوضع الكتب . فاستقصوا أمر العروض والوزن وأمر القوافي والمقاطع وأمر الغريب والنحو وتكلموا في المعاني الدال عليها الشــعر وما الذي يريد بها الشاعر .
ولم أجد أحدا وضــع في نقد الشــعر وتخليص جيده من رديئه كتابا ، وكان الكلام عندي في هذا القسم أولي بالشعر من سائر الأقسام المعدودة " (٣٧) ٠
ومن هنا يعد قدامة أول من قدم تعريفا للنقد ، ووضـــع للنقد عنوانا لكتابه بعد كتاب الجاحظ المفقود عن هذا الفن ، وهو أول من أطلق لفظ (علم) علي نقد الشـــعر ، والعلم يعني أنه توجد قواعد وأصول محددة لنقد الشعر وتمييز جيد من رديئه ٠ وبذا بدا النقد علما وحاول قدامة أن يقدم أصــوله في كتابه نقد الشــعر في نقد المعاني وتحديدها وهي الخاصة بفنون الشعر المدح والهجاء والرثاء وغيرها .

واستقر تعريف قدامة عند النقاد واللاحقين عليه خاصة القاضي الجرجاني (علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت٣٦٦ هـ) في كتابه " الوساطة بين المتنبي وخصومه " ، والآمدي (الحسن بن بشر الآمدي (ت ٣٧٠ هـ) في كتابه الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري "

فالقاضي الجرجاني ارتضي مفهوم النقد عند قدامة في تمييز جيد الأدب من رديئه وقرر أن الشعر وهو من الأدب علم يعتمد علي الطبع والرواية والذكاء والدربة ، ومن هنا تكون الإجادة حيث يقول : " أنا أقول – أيدك الله – إن الشعرِ علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ثم تكون الدربة مادة له وقوة لكل واحد من أسبابه فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز " (٣٨) ٠

ووضع الجرجاني قواعدا وأصولا لنقد الشعر هي نفسها قواعد الإجادة في الشعر حيث يقول : " كذلك الكلام : منثوره ومنظومه .. تجد منه المحكم الوثيق ... حتى احتمي ببراءته عن المعايب واحتجز بصحته عن المطاعن .... فأما المختل المعيب .. فله وجهان : أحدهما ظاهر يشترك في معرفته ويقل التفاضل في علمه وهو ما كان اختلاله وفساده من باب اللحن والخطأ من ناحية الإعراب واللغة وأظهر من هذا ما عرض له ذلك من قبل الوزن والذوق فإن العامي قد يميز بذوقه والأضرب ، ويفصل بطبعه بين الأجناس والأبحر ، ويظهر له الانكسار البين والزحاف السائغ ٠والآخر غامض يوصل إلي بعضه بالرواية ويوقف علي بعض بالدراية ويحتاج في كثير منه إلي دقة الفطنة وصفاء القريحة ولطف الفكر وبعد الغوص ٠ وملاك ذلك كله : وتمامه الجامع له والزمام عليه صحة الطبع وإدمان الرياضة ؛ فإنهما أمران ما اجتمعا في شخص فقصرا في إيصال صاحبهما عن غايته ورضيا له بدون نهايته " (٣٩) ٠

لقد حدد الجرجاني أدوات الناقد الخبير أو البصير كما حدد أدوات المبدع في :

أ – الرواية وتعني الثقافة المحفوظة من الشعر القديم .

ب– الدراية وتعني الدربة علي إبداع الشعر وقوله أو علي نقد الشعر وتمييز جيده من رديئه .

ج – الفطنة ولطف الفكر ، وتعني الموهبة التي إذا توافرت في المبدع أسعفته ، وهي إذا توافرت في الناقد قوت نقده (٤٠) .

وترتب علي الوضع التالي في حالتي الإبداع والنقد :

أ–طبع ورواية وفطنة .

ب– دراية وتدريب .

ويلخص في صحة الطبع وإدمان الرياضة ٠

فالناقد يدرس ويتعلم ويتثقف ويقوي طبعه وذكاءه وفطنته ، ثم يبدأ في التدريب علي تمييز جيد الشعر من رديئه ؛ فإذا تمكن أصبح ناقدا جيدا .

ويقرا الأمدي في كتابه الموازنة بمفهوم النقد عند قدامة وهو تمييز جيد الشعر من رديئه ، وذلك في موازنته بين أبي تمام والبحتري حيث يقول : " ثم احكم أنت علي جملة ما لكل واحد منهما إذا أحطت علما بالجيد والرديء " (٤١) ٠

ويلخص الآمدي الناقد الخبير في : من تتوافر لديه الخبرة وطول الدربة والممارسة ، وتعني الدربة والممارسة القدرة العملية عند الناقد علي تمييز جيد الشعر من رديئه بعد طول دربة وخبرة ، وقد تكونت هذه الدربة لتكون الثقافة الخاصة بالناقد ، وهي الرواية وهي تتكون من جماع معرفة الشعر بلغته ونحوه وصرفه وعروضه وأخباره وأنسابه وتاريخ العرب وغيرها ، مما يكون ثقافة الناقد في عصره ، ويقول ملخصا صفات الناقد : "

فمن سبيل ذلك من عرف بكثرة النظر في الشعر والارتياض به وطول الملابسة ، له أن يقضـي له بالعلم بالشـعر والمعرفة بأغراضـه ، وأن يسـلم له الحكم فيه ، ويقبل منه ما يقوله ، ويعمل علي ما يمثله ٠ولا ينازع في شـــيء من ذلك ، إذ كان من الواجب أن يسلم لأهل كل صناعة صناعتهم ، ولا يخاصمهم فيها ، ولا ينازعهم إلا من كان مثلهم نظيرا في الخبرة وطول الدرية والملابسة " (٤٢) .

وقد حدد هنا الآمدي شيئين :

الأول : علم بالشـعر والمعرفة بأغراضـه وهو يعني ثقافة ودراسـة خاصـة بالشـعر تتناول معانيه وأغراضه المختلفة من مديح وهجاء ورثاء وغزل ....

وما يخص كل منها من ثقافة تتناول اللغة والنحو والصـــرف والعروض وأخبار العرب وأنسابهم وتاريخهم وأيامهم إلي غير ذلك من ثقافة عصره .

الثاني : الممارسـة والدرية والخبرة الطويلة التي تكونت من طول وكثرة النظر في القصـائد والأبيات وتمييز جيدها من رديئها .

وعلي هذا الأسـاس فقد وضـع قدامة تعريفا محددا للنقد ، ثم أكمل القاضـي الجرجاني والآمدي وضع القواعد الخاصة بأصول هذا العلم ، والتي تتناول أمرين :

الأول : توافر الثقافة الواســعة عن الأدب بمعرفة اللغة والنحو والصــرف والعروض والأخبار والأنساب والتاريخ العربي ٠

الثاني :الدراية الكاملة والممارسـة الفاعلة والخبرة الطويلة بنقد القصـيدة وتتميز ما فيها من جيد ورديء في اللغة والنحو والتاريخ .

علاقة النقد بالبلاغة في النقد ا لأدبي القديم :

لا شـك أن هناك علاقة وطيدة في التراث العربي بين النقد الأدبي و البلاغة العربية ، فالنقد و البلاغة هما وجهان لعملة واحدة هي النقد الأدبي ، فالبلاغة تمثل القواعد النظرية للنقد الأدبي و النقد الأدبي يمثل الجوانب التطبيقية .

فالنقد الأدبي –كما جاء في تعريف قدامة السـابق – هو " تمييز جيد الكلام من رديئه " هو جانب تطبيقي تجلى في ملاحظات نقاد الجاهلية ، وصـدر الإسـلام ، و نقاد الأمويين في تفنيد و شرح لجيد الكلام و رديئه و تبرير ذلك .

بينما البلاغة العربية في تعريف القدماء منذ حددها العسـكري حتى القزويني تعنى القواعد التي تميز الكلام البليغ في صياغته و أسلوبه ، و فصاحته فقد عرفها أبو هلال العسـكري بأنها " البلاغة : كل ما تبلغ به قلب السـامع فتمكنه في نفسـه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة و معرض حسن ، و إنما جعلنا حسن المعرض و قبول الصورة شرطا في البلاغة لأن الكلام إذا كانت عبارته رثة و معرضة خلقا لم يسم بليغا و إن كان مفهوم المعنى مكشوف المغزى " (٤٣) البلاغة صفة الكلام تصف الكلام بأنه ذو لفظ حسن الصورة مقبول أي الصياغة اللفظية الجيدة نحويا و صرفيا و صوتيا ، و بأنه ذو دلالة بسيطة سهلة مفهومة عند السامع أي صفة جيدة تمس التركيب اللغوي السليم و الدلالة الموصـلة للمعنى . ويزيد السـكاكي على هاتين الصـفتين اسـتكمال جمال الصورة فيصبح الجمال المبلغ مستوفيا : حسن الترتيب ، تمام الدلالة ، جمال التصوير و ذلك في تعريف السـكاكي للبلاغة في قوله " هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وإيراد أنواع التشبيه و المجاز و الكناية على وجهها " (٤٤) ،

ويقف السكاكي مبينا ذلك من خلال قوله تعالى : " و قيل يا أرض ابلعي ماءك و يا سماء أقلعي و غيض الماء و قضي الأمر و استوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين " (سورة هود آية ٤٤) ، و يشرح بلاغة هذه الآية من النواحي الآتية : " والنظر في هذه الآية من أربع جهات : من جهة علم البيان ، ومن جهة علم المعاني ، وهما مرجع البلاغة . ومن جهة الفصاحة المعنوية ومن جهة الفصاحة اللفظية " (٤٥) ، ويمكن التركيز في ناحيتين :

الأولى: البيان في حسن استعمال المجاز و الاستعارة و الكناية .

الثانية : في حسن ترتيب الجملة مرورا بالتقديم والتأخير و استخدامات النداء .

ويعني السكاكي أن البلاغة هنا صفة ترجع إلى حسن الاختيار على مستويي اختيار الصورة في علم البيان و حسن اختيار المفردات و حسن ترتيبها في علم المعاني ، وذلك في إطار حسن الدلالة و حسن التبليغ .

و يضيف القزويني لهذين الاختيارين حسن الصورة و حسن التركيب وحسن الصوت اللغوي و هو الفصاحة مع حسن تزيين الحروف و الكلمات و ذلك مع حسن الدلالة و الابلاغ ، ولذلك يعرف القزويني البلاغة بقوله : (وأما بلاغة الكلام : فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته) (٤٦) ، وعرف الفصاحة بقوله (وأما فصاحة الكلام : فهي خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد مع فصاحتها) (٤٧) .

فالبلاغة تعني إبلاغ الدلالة وهذه وظيفة دلالية ، وذلك بحسن التركيب وترتيب الكلمات وحسن اختيار المفردات وترتيبها ، وحسن اختيار الصوتيات .

ولذلك قسم البلاغة إلى ثلاثة علوم هي المعاني والبيان والبديع ، فالمعاني لتقويم حسن اختيار وترتيب المفردات ، في تعريفه للمعاني (هو علم يعرف به أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال) (٤٨) ،

والبيان في حسن اختيار الصورة الخيالية ، في تعريفه للبيان (هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه) (٤٩) ، والبديع في حسن تزيين المفردات صوتياً في حسن اختيار الصوتيات في المفردات ، في تعريفه لعلم البديع (وهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام ، بعد رعاية : تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة) (٥٠) .

ويعني ذلك أن البلاغة تضع قواعداً تبدأ من الأصوات اللغوية ثم الصرف ، ثم التركيب ثم الدلالة ثم الصورة تحقق الجودة وتضيف جماليات خاصة بالصورة والدلالة في علم البيان ، ولا تخرج مناقشات النقاد عن هذه القواعد ، ولا تخرج قواعد البلاغة عن الموقف الكلامي المتمثل في المبدع والمتلقي ، وهنا يلتقي النقد والبلاغة ، فالبلاغة قواعد نظرية والنقد تطبيق لهذه القواعد النظرية .

لقد بدأ ظهور هذه القواعد البلاغية على هيئة ملاحظات مبسطة في العصر الجاهلي لكشف جمال الأدب ومحاسنه أو نقصه ومساوئه ، واستمرت هذه الملاحظات مع عصر صدر الإسلام حتى بدأ العلماء يدرسون فكرة الإعجاز القرآني فانفصلت البلاغة عن النقد في دراسات أبي عبيدة معمر بن مثنى في كتابه " إعجاز القرآن " ، وتطور الأمر عند المتكلمين فظهرت صحيفة بشر بن المعتمر والبيان والتبيين للجاحظ ، وكذلك في دراسات المتأدبين البديع لابن المعتز والصناعين لأبي هلال العسكري ، وجمع كل أولئك عبد القاهر الجرجاني في كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز ، فتأصلت القواعد الجمالية والبلاغية وشكلت إطاراً للنقد .

بينما بدأ النقد في صراع الشعراء الجاهليين وتحكيم النقاد وفي ملاحظات نقاد صدر الإسلام ، وازدهر النقد مع صراع أنصار القديم وأنصار الجديد في ظهور البديع بين بشار بن برد ومسلم بن الوليد ، وخصومات جرير والفرزدق والأخطل وانتشار النقائض ، وحدوث معركة بين البحتري وأبي تمام وأنصارهما ،

واختلاف النقاد حول المتنبي ، وهنا تطور النقد الأدبي وبدأت كتب التأليف فيه مثل الشعر والشعراء لابن قتيبة ، وطبقات الشعراء المحدثين لابن المعتز ، والبديع لابن المعتز ، وعيار الشـــعر لابن طباطبا ، ونقد الشـــعر لقدامة بن جعفر والموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي ، والوساطة بين المتنبي وخصومه " للقاضي الجرجاني" (٥١) ٠

ثم توقفت هذه الحركة النقدية في الوقت الذي اسـتقرت فيه المباحث البلاغية عند عبد القاهر والســكاكي في كتابه مفتاح العلوم وتجمدت في تلخيص القزويني وإيضـــاحه مما يشير إلى ثبات وجهي النقد : البلاغة والنقد .

وفي كل ذلك ما يؤكد أن البلاغة والنقد وجهان لعملة واحدة هي النقد الأدبي في إطاره النظري (البلاغة) والتطبيقي (النقد) .

صفات الناقد القديم :

توصل النقاد العرب إلى مجموعة من السمات تتوافر في الناقد الأدبي حتى يتصدى لنقد العمل الأدبي ، وقد أوضـح هذه السـمات كل من الآمدي والجرجاني – مما سبق – في ثلاث صــفات هي : الموهبة والثقافة والخبرة . وقد أوضـــحها القاضـــي الجرجاني في (الطبع والرواية والذكاء والدربة) ، وذكرها الآمدي في (الخبرة وطول الدربة والملابسة) وهما مشتركان في الثلاثة السابقة :

(أ)الموهبة (الخبرة – الطبع + الذكاء) .

(ب) الثقافة (الرواية – الملابسة).

(ج) التدريب (الدربة – الملابسة) .

أ- الموهبة :

خصـــها الجرجاني بلفظة الطبع وتعني الفطنة لغوياً " الفِطْنَة : كالفهم . والفطنة : ضـــد الغباوة . ورجل فطن : بَيِّن الفطنة والفطن " (٥٢) ، وهي تعني هنا الذكاء وهو ما يعني لغوياً "... والذكاء : سرعة الفطنة : الليث : الذكاء من قولك قلب ذكي ، وصبي ذكي ، إذا كان سريع الفطنة " (٥٣) ٠

وهي صـفة داخلية في الإنسـان طبيعية فطرية فيه ، تزداد بالتمرن والتمرس والتدريب ، وقد ذكرها النقاد بلفظة الذوق ويعني الذوق وهو " مصــدر ذاق الشـــيء يذوقه ذوقاً وذواقاً ومذاقاً فالذَّوَّاق والمذاق يكونان مصـدرين ويكونان طعماً " (٥٤) . وتكون بمعنى معنوي أي الاستخبار كما في قول صاحب اللسـان " ... وماذقت ذواقاً أي شيئاً ، وتقول : ذقـت فلاناً وذقـت ماعنـده أي خبرتـه ... وقولـه تعالى " فـذاقـت وبال أمرها " أي خبرت " (٥٥) .

فالطبع والذكاء والذوق اســتعداد فطري يترســـخ بالثقافة والإطلاع وهذا ما يقره عبد القاهر الجرجاني في تعليقه على قول النابغة في " ومن الباب قول النابغة :

نفسُ عصامٍ سوَّدتْ عصاماً وعلَّمته الكرَّ والإقداما

= لا يخفى على من له ذوق حســـن هذا الإظهار ، وأن له موقعاً في النفس ، وباعثاً للأريحية ، لا يكون إذا قيل :(نفس عصـام سـودته) شـيء منه البته" (٥٦)٠ فالفطنة والذكاء والذوق إحساس فطري بالجمال وفهم القصيدة بشكل مبدأي .

ويمكن تعريف الذوق " بأنه قوة يقدر بها الأثر الفني ، أو هو ذلك الاســتعداد الفطري المكتسب الذي نقدر به على تقدير الجمال والاستمتاع به ومحاكاته بقدر ما نستطيع في أعمالنا وأقوالنا وأفكارنا " (٥٧) أو " الذوق استحسان ما يحبه الإنسان وما يميل إليه "

(٥٧) . والذوق قوة يقدر بها الأدب ووسـيلة للنقد الأدبي وأداته . والذوق مزيج من العاطفة والعقل والحس والعاطفة أكبر مظاهره . وهو ينمو ويتطور ويصـقل بالتعليم والتهذيب والقراءة والتدريب (٥٨) .

ويعدد الأستاذ أحمد الشايب أقساماً عديدة للذوق منها الحسن ، والفاسد والأول هو المراد في باب النقد وقصده الجرجاني في وساطته ومنها الحس ، والمعنوى ، والمعنوي هو المراد للأخيلة والأفكار والأخلاق . ومنها السـلبي والإيجابي والأخير يدرك الجمال والأدب . ومنها العام والخاص : فالعام يشـترك فيه أبناء الجيل الواحد والبيئة الواحدة لتأثرهم بظروف واحدة .والخاص ما يتعلق بالشـخصـية الفردية ومرآة لها ويمكن أن يضاف إليها الذوق العام وهو الإنساني الذي يشترك فيه كل الناس(٥٩)

ومع تنبه النقاد العرب إلى الذوق باعتباره ملكة اسـتعدادية فطرية ، تنبهوا إلى الذوق باعتباره اكتسـاباً ، أي المرحلة الأرقى من الذوق ولذلك أشـار ابن خلدون في مقدمته إلى طبيعة هذا الذوق : " اعلم أن لفظة الذوق .. ومعناها حصـول ملكة البلاغة ..... وإنما هي ملكة لسـانية في نظم الكلام تمكنت ، ورسـخت فظهرت في بادئ الرأي أنها جبلة وطبع ، وهذه الملكة كما تقدم إنما تحصـل بممارسـة الكلام العربي وتكرره على السـمع والتفطن لخواص تراكيبه ، وليسـت تحصـل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استنبطها أهل صناعة اللسان "(٦٠) ٠ الذوق عنده يمر بمرحلتين:

الأولى : مرحلة الاستعداد العقلي والذهني والفكري والطبيعي للفهم .

والثانية : الممارسة والتمكن من ممارسة كلام العرب في أشعارهم وبلاغتهم وطرق القول عندهم .٠

وبالمرحلتين يصبح الذوق جبلة أو طبيعة أو طبع ؛ وذلك لأن الذوق ملكة شأنها شأن الملكات الأخرى كما يقول ابن خلدون : " فإن الملكات إذا استقرت ورسخت في مجالها ظهرت كأنها طبيعة وجبلة " (٦١) .

وإذا كان الذوق طبعاً عادياً واستعداداً فطرياً ، أو ممارسة قوية مستمدة من الدربة والخبرة بأساليب العرب وطرقهم .. فإن الذوق في النهاية هام جداً في العملية النقدية والأدبية على مستوى المبدع وعلى مستوى المتلقي على حد سواء .

ب- الثقافة :

استنتج النقاد من اطلاعهم على تجارب الشعراء العرب وممارساتهم ودربتهم مجموعة من العلوم والمعارف التي يحتاجها الناقد ، ويستعين بها في فهمه للأدب ونقده . وكان ابن الأثير من أفضل من تحدث عن هذه العلوم والمعارف ولخصها في قوله : " وعلى هذا فإذا ركب الله تعالى في الإنسان طبعاً قابلاً لهذا الفن إلى ثمانية أنواع من هذه الدلالات :

النوع الأول : معرفة علم العربية من النحو والصرف .

النوع الثاني : معرفة ما يحتاج إليه من اللغة وهو المتداول المألوف استعماله في فصيح الكلام ، غير الوحشي الغريب ولا المستكره المعيب .

النوع الثالث : معرفة أمثال العرب وأيامهم ، ومعرفة الوقائع التي جاءت في حوادث خاصة بأقوام ، فإن ذلك يجري مجرى الأمثال أيضاً .

النوع الرابع : الاطلاع على تأليفات من تقدمه من أرباب هذه الصناعة المنظومة منه والمنثورة والتحفظ للكثير منه .

النوع الخامس : معرفة الأحكام السلطانية : الإمامة والإمارة والقضاء والحسبة وغير ذلك .

النوع السادس : حفظ القرآن الكريم ن والتدرب باستعماله وإدراجه في مطاوي كلامه
النوع السـابع : حفظ ما يحتاج إليه من الأخبار الواردة عن النبي صـلى الله عليه وسـلم والسلوك بها مسالك القرآن الكريم في الاستعمال .
النوع الثامن : وهو مختص بالناظم دون الناثر ، وذلك علم العروض والقوافي الذي يقام به ميزان الشعر " (٦٢) ٠

وتتنوع هذه الثقافة إلى :

١- إتقان علوم اللسـان المتعددة من نحو وصـرف وإعراب وفقه اللغة وعروض وقواف أي بالمعنى المعاصـــر الإلمام الكامل بعلم اللغة في إطاره الصـــوتي والصـــرفي والنحوي والدلالة ، والإلمام بموسـيقى الشـعر العربي عروضـاً وإيقاعاً وقوافي ، وهذا جانب هام وأساسي في المعرفة اللغوية والتي تكون ثقافة الناقد .

٢- الإلمام والتعرف على الأدب العربي شعراً أو نثراً ، أي التعرف على الأدب الجاهلي شعراً ونثراً ، والأدب في عصر صدر الإسلام شعراً ونثراً ، والأدب في العصر الأموي والعصـر العباسـي والمملوكي والتركي شـعراً ونثراً ، وحفظ النماذج الجيدة من الشـعر العربي ورواياتها والاطلاع على آراء النقاد القدماء والتعرف على مآخذهم النقدية .

٣- الاطلاع والإلمام بالعلوم الشـــرعية والمتمثلة في حفظ القرآن الكريم وعلومه ، وحديث النبي صـلى الله عليه وسـلم وعلومه ، وعلوم الفقه والكلام والسـيرة وما يمكن أن نطلق عليه اختصاراً : العلوم الإسلامية

٤- الاطلاع على الثقافة العامة من العلوم العربية :

* علم التاريخ الإســلامي في أخبار العرب وطبيعة مجتمعهم وقبائلهم وأنســابهم وأيامهم ومفاخرهم ووقائعهم ، والســيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشــدين والأمويين والعباســين وفتوحاتهم .

* الأحكام السـلطانية : الإمامة والإمارة والقضـاء والحسـبة وهي تمثل مظاهر الإدارة السياسية والقضائية في التاريخ الإسلامي

* وقد يتصـل ذلك بعلم الاجتماع وأحوال الاجتماع والمذاهب وطباع الناس والحيوان (٦٣) .

وتكاد تتطابق هذه العلوم والثقافات مع العلوم الإنسـانية اللازمة للأديب في عرف ابن خلدون . وهي ثقافة حرصت أقسام اللغة العربية بجامعات الأزهر ودار العلوم والآداب حديثاً على توفيرها لطالب اللغة العربية لتكون منه متلقياً جيداً للإبداع أو مبدعاً مجيداً أو ناقداً مبدعاً كما أشـرت من قبل . تمكنه من علوم : اللغة والأدب والعلوم الشـرعية وعلوم التاريخ والاجتماع والفلسـفة الإسـلامية واللغات الأجنبية المختلفة الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية .

ج- الدربة :

واشـترط النقاد العرب (ابن سـلام الجمحي ،والآمدي ،والقاضـي الجرجاني) في الناقد أن يكون متمرسا متدربا على النقد ،فقد قال ابن سلام :

" ٤- وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات :منها ما تثقفه العين ،ومنها ما تثقفه الأذن ،ومنها ما تثقفه اليد ،ومنها ما يثقفه اللسان .

من ذلك اللؤلؤ والياقوت ،لا تعرفه بصفة ولا وزن ،دون المعاينة ممن يبصره ،ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم ،لا تعرف جودتهما بلون ولا لمس ولا طراز ولاوسـم ولا صـفة ، ويعرفه الناقد عند المعينة ، فيعرف بهرجها وزائفها وسـتوفها ومفرغها ـــومنه البصـر بغريب النخل ،والبصـر بأنواع المتاع وضـروبه واختلاف بلاده مع تشـابه لونه ومسـه وذرعه ،حتى يضاف كل صنف إلى بلده الذي خرج منه " (٦٤) ٠

وهو يشـــير بهذه العبارات :المعاينة ممن يبصـــره ،ويعرفه الناقد عند المعاينة ..البصـــر بغريب النخل ..إلى البصـــر بالشـــئ والخبرة به ، التمرس في التعامل معه ونتاجها الخبرة بالتعامل مع النص الأدبي والقدرة على الحكم عليه بعد فهمه وســـبر أغواره . وقد ســـبقت إشـــارة كل من الآمدي والجرجاني إلى ضـــرورة توافر الدربة والمران على تحليل النص الأبي وسبر أغواره ثم الحكم عليه بأحكام ثابتة .

لقد اتفق النقاد الثلاثة على ضرورة الدربة أي التدريب والممارسة على قراءة النصوص الشعرية وفهمها وتحليلها ثم تمييز جودتها من ردائتها ثم الحكم عليها بأحكام ثابتة يقينية موضوعية ، ومن خلال ذلك يمكن التوصل إلى قوانين ومقاييس نقدية ثابتة تمكن الناقد الذي ياتي بعد ذلك من الاحتكام إلى "

مقايسس ثابتة وأسس مسلمة ،وقوانين متعارفة ...مستمدة من طبيعة المعارف البشرية في العلوم والفنون المختلفة ،حتى يخلص النقد إلى الـذوق الخـاص ، ولا يكون ثمرة لانفعال الناقد فحســـب ، وإنما يكون ذلك على هدي من المقايســـس العلمية المتفق عليها ،وبهذا يتحقق النقد الموضوعي " (٦٥) .

وبهذا فالممارسة النقدية مبدأ هام من مبادئ النقد الأدبي ،وهي من سمات الموضوعية

النقد الأدبي في معناه الحديث :

يصـــعب الوصـــول إلى تعريف جامع مانع لكلمة نقد في النقد الأدبي الحديث بعد أن تشـعبت المناهج والمفاهيم الخاصـــة به من بيئة إلى أخرى ومن مدرســـة نقدية وأخرى ؛ لكن يمكن القول بشكل مبسط بأنه :

* " هو فن تحليل الآثار الأدبية والتعرف إلي العناصـــر المكونة لها للانتهاء إلي اصـــدار حكم يتعلق بمبلغها من الإجادة وهو يصفها أيضا وصفا كاملا معني ومبني ويتوقف عند المنابع البعيدة والمباشـــرة والفكرة الرئيســـة والمخطط والصـــلة بين الأقســـام ومميزات الأسلوب وكل مركبات الآثار الأدبية " (٦٦) .

* " وهو تفسير وتحليل وتصنيف وتقييم الأعمال الأدبية ٠٠٠ وينقسم إلى نوعين :
النقد النظري وهو يتناول بالمناقشة طبيعة العملية الإبداعية ، وعلاقة الأدب بالنقد ٠
النقد التطبيقي : وهو يركز على فحص نصوص الأعمال الأدبية ذاتها "(٦٧) ٠
* " التخصص المنتسب إلى العلم والفن معا الذي يعكف على عرض الأعمال الأدبية وتفسيرها وتحليلها ومقارنتها بعضها ببعض ثم تقييمها ، وهو يختلف عن النظرية الأدبية (البويطيقا (انظر)) التي تعني بتحليل المفاهيم والخصائص العامة التي تحدد الأدبية (انظر) بدلا من دراسة أعمال بعينها ٠ وهناك النقد النظري الذي يستمد من النظرية الأدبية مبادئه العامة ليصل إلى المعايير والمقاييس التي تطبق على الأعمال الأدبية ٠٠٠ ومقابله النقد التطبيقي الذي يركز اهتمامه على الأعمال المفردة " (٦٨)
ويستنتج من هذه التعاريف أن النقد فن وعلم في نفس الوقت ، عمله دراسة الأعمال الأدبية بقصد تحليلها وتصنيفها وتفسيرها وتقييمها ، ضمن نظرية أدبية

وهي " علم للأدب لا يكرس جهده للنقد أو التفسير الجزئي لنصوص محددة ، بل لاكتشاف الخصائص العامة التي تجعل الأدب ممكنا ودراسة الأدبية ٠٠ قبل الأعمال ، والبحث عن القوانين العامة التي تحكم النصوص المفردة ، عن (جوهر)أدبي ويجعل التغاير الشكلي الضخم للأشعار والمسرحيات والروايات والحكايات الشفاهية من البحث عن الكليات الأدبية جهدا مسرفا في التجريد " (٦٩) ٠

وتمد هذه النظرية الأدبية النقد النظري بالمبادئ العامة ليصل إلى المعايير والمقاييس التي تطبق على الأعمال الأدبية في النقد التطبيقي الذي يركز اهتمامه
الأعمال المفردة ٠

إن النظرية الأدبية تأمل محكم ومقنن يسهم وبشكل تام في تأسيس منهجية لها آليات تدرس الأدب ، فهي " تفرز معرفة تفسر الظاهرة وتعللها ، لكنها تظل معرفة محكومة بآلياتها ومنهجيتها " (٧٠) ، ومن هنا فإن لكل نظرية منهج خاص بها ، ولكل منهج آليات ووسائل وخطوات إجرائية يسير عليها في درسه للأدب ٠

غير ما يحد من عمومية أي نظرية أدبية – كما يقول كولر – ويجعلها خاصة بالبيئة التي أنتجتها هو " أن النظرية اليوم وليدة بيئتها الثقافية الأيديولوجية : وليدة العرف المؤسساتي تحديدا " (٧١) ٠

وللنقد الأدبي أنواع منها :

النقد الانطباعي : يحلل الأثر كما ينطبع في نفس القارئ .

النقد التفسيري : تحليل يعلل الأثر الأدبي والفني ومضمونه بتأثير البيئة ونفسية الكاتب وعرقه وزمنه .

النقد الشخصي : ويحلل مفهوم الجمال والذوق في الأثر من وجهة الناقد .

النقد الموضوعي : يرد العمل سلم من القيم مشتق من ذوق الناقد .

النقد الوقوفى : يحاكم المؤلفات علي ضوء نموذج جمالي مطلق محدد المباديء (٦٦) .

وتتبع هذه الأنواع مناهج مختلفة باختلاف النقاد منها التاريخي والنفسي والاجتماعي والجمالي والأسلوبي والبنيائي والتأويلي ٠٠وقد تتعاون كل هذه المناهج في أسلوب متكامل فيما يعرف بالمنهج التكاملي .

وفيما يلي عرض لبعض هذه المناهج وخطواتها الإجرائية :

مناهج التحليل الأدبي:

١. المنهج النفسي:

نتج هذا النهج من تغير النظرة إلي الأدب حيث أصبح الأدب في نظر الرومانسيين صدى للذات الشاعرة وليست صدي لمحاكاة الأقدمين باعتبارهم يمثلون النموذج الأرقي للذات للإبداع واعتمادهم علي العقل الواعي المتزن الذي يكبح الغرائز والعواطف ويسيطر عليها بإدراك خفاياها وعملها (٧٢) .

فلقد ظهر إلي الوجود هذا النهج مع تبلور نظرية التعبير علي يد شعراء الرومانتيكية ، فلقد وجدوا أنه من اللازم " الدفاع عن ذات الفرد المهددة التي أغفلها الفلاسفة والمشرعون والمبدعون طويلا ٠ وبدأت تأخذ شكل العرض المنهجي مع الإلحاح علي قدرة العمل الفني في التعبير عن استجابة الفنان الشخصية لحادث أو موضوع بعينه والربط بين قيمة العمل والكشف عن مزيد من الطاقة الفنية للمبدع .

وأصبح ما يجذب منظر الفن أو ناقده هو الكشف عن ما يملكه الفنان من ملكات أو سمات خاصة ؛ كما لو كانت هذه الملكات والسمات العلة الفاعلة وراء الجمال أو هي مصدر إعجابنا بما يقدمه الفنان " (٧٣) ٠

لقد نادت الرومانتيكية بضرورة الاهتمام بذاتية الفرد تجاه المجتمع ، والأدب في هذه الحالة ليس صورة للمجتمع ، ولكن صورة للذات الفردية ؛ ولذلك كانت ثورتهم في الأدب اعتمادا علي اللجوء إلي العاطفة والاعتماد عليها ، والعاطفة في طبيعتها فردية ذاتية ؛ فأطلق الرومانتيكيون العنان لأحاسيسهم الفردية حتى أصبح الأدب صورة للذات (٧٤) أو تعبير عن الذات ٠

وتتميز الذات الرومانتيكية بعدد من الخصائص منها عدم الرضا بالحياة والقلق من العالم المحيط بهم ، وما يعج به من أحداث وفي الحزن الذي يسيطر علي نفوسهم وأحاسيسهم والإحساس بالغربة في عصره وعصبية المزاج وسرعة التأثر وجسارة العقل والولع بالجري وراء المتناقضات وبالتطرف وقلبه عامر بعواطف إنسانية كالوطنية والحرية والحب والتفرد والأصالة (٧٥) .

وتدخل علم النفس الأكاديمي في دراسة ظاهرة الإبداع مستفيدا من الرومانسية ، وهنا ظهر المنهج النفسي كمنهج لعلماء النفس ، ثم انتقل إلي ميدان الأدب والنقد ٠ فقد بدأ فرويد من مائة عام تحليلاته النفسية لدراسة الشعور واللاشعور أو الوعي واللاوعي معتبرا اللاوعي واللاشعور هو المخزن الخلفي غير الظاهر للشخصية الإنسانية وبمثابة العوامل الفعالة في السلوك والإبداع والإنتاج ٠ ونظر إلي الأدب والفن علي أنهما تجليات ظاهرة للظواهر النفسية ؛ " فالأدب والفن تعبير عن اللاوعي الفردي ، ومجلي تظهر فيه تفاعلات الذات في صراعاتها الداخلية " (٧٦) ٠

وحدد فرويد عدة خصائص طبقها علي الأحلام ونقلها للأدب تميز الظواهر الإبداعية كتغيرات نفسية وهي : التكثيف والإزاحة والرمز ، وحاول فرويد أن يستعير شخصيات أدبية للتعبير عن ظواهر العقد النفسية مثل عقدة أو ديب وعقدة الكترا .

وربط فرويد بين الإنتاج الأدبي وبين تاريخ المبدع الشخصي من ناحية أخري ، واعتبر هذا التاريخ كما متراكما من الخبرات لديه منذ سن الطفولة المبكرة (٧٧) .

لقد تضافرت جهود الرومانسيين وعلماء النفس في ظهور تيار التعبيرية في الأدب في تركيزه علي دور المبدع ورد العمل الأدبي كله إليه وظهور المنهج النفسي وتناوله الأدب علي أنه مجلي للنوازع والانفعالات الإنسانية .

وتلقف النقاد المنهج فحاولوا أن يستفيدوا منه في دراسة رد الأدب إلي الذات المنشئة له وهي المبدع ، وغاص النقاد في حياة المبدع بحثا عن تفسير لإنتاجه ومحاولة للوصول إلي نتائج معينة في تقييمه .

وأصبح هم المبدع في ضوء التعبيرية هو التعبير عن أحاسيسه وانفعالاته ، كما أصبح الفن لا يعبر عن حقيقة خارجية ، وإنما يعبر عن حقيقة داخلية وهى مجموعة من الانفعالات الفردية التي تفرض علي المبدع أن يعبر عنها أي ينقلها من وجود داخلي إلي وجود خارجي هو العمل الفني الملموس (٧٨) .

وتتميز الانفعالات إلي نوعين هما :

الأول : عاطفة تلي الفكرة أو مجرد اهتزاز للإحساس بتأثير يقع علي صفحته .

الثاني : عاطفة لا تنشأ عن تصور فتعقبه وتبقي متميزة عنه (٧٩) .

وإذا كان العمل الأدبي في ظل التعبيرية تعبير عن العالم الداخلي للمبدع ؛ فإن لغته هي مظهر فيزيائي طبيعي للغة داخلية ، تحققت صورتها التعبيرية بمجرد أن تم فعل الحدث داخل الفنان فتم التعبير عنه ...(٨٠) أي أن اللغة لا تشير إلي العالم الخارجي بقدر ما تشير إلي العالم الجواني الإنساني الخاص بالذات المبدعة حاملة آمالها وآلامها وأفراحها وأتراحها .

وإذا كان العمل الفني صورة تعبيرية للعالم الداخلي للفنان بانفعالاته الفردية ...، وإذا كانت لغة العمل الأدبي صورة أخري من صور التعبير عن العالم الجواني للذات الفردية للمبدع ؛ فإن ذلك يحكم علي المتلقي أن يبدأ بمعرفة المبدع قبل العمل الأدبي ، ولا يبدأ بمعرفة العمل الأدبي قبل النظر إلي حياة المبدع الشخصية ، وما يمر به في حياته من متاعب وأفراح وحب وكراهية ومواقف نجاح وفشل ومواقف يأس وغيرها من مواقف الحياة وتأثيرها علي نفسية المبدع وكل ذلك يفرض علي الناقد وهو يقرأ العمل الأدبي .

وقد حدد النقاد عددا من الخطوات الإجرائية في تناولهم للنص علي طريقة المنهج النفسي وهي :

١- متابعة المبدع وهو ينتقل من حركة إلي أخري علي نحو يبدو واضحا في وحدات القصيدة .

٢- دراسة الصور الشعرية الأصيلة التي وردت في ثنايا العمل .

٣- إحصاء عدد الصور التي أفرزها الشاعر في قصيدته .

٤- إحصاء النقلات والتنويعات التي ميزت حركة المبدع .

٥- تقييم الأبعاد والقيم الاجتماعية التي تبناها الشاعر ، وكشفت عن نفسها في سياق العمل .

٦- الكشف عن الدوافع والقيم الشخصية التي تحكمت في حركة القصيدة .

٧- متابعة فكرة القصيدة من أولها ، والوقوف علي تدفق المبدع وتغلبه علي ما نشأ في سبيله .

٨- متابعة عقباته نتيجة رغباته في التنويع والتوزيع والتحضير .

٩- محاولة الكشف عن بعض الأبعاد الجمالية في القصيدة وعلي وجه الخصوص ما يتعلق بالجانب التشكيلي والتراكيب المفضلة لدي المبدع (٨١) .

وهي خطوات تحلل القصيدة إلي وحدات وصور وأفكار وعواطف وجماليات وردها إلي الدوافع والانفعالات والحالات النفسية التي تعتري الأديب في حياته الشخصية والنفسية وتفسير الأولي وهي وحدات القصيدة وعناصرها علي أساس من الثانية وهي الحالات الجوانية للقصيدة بحثا عن سر الإبداع عند المبدع .

المنهج التاريخي :

يري هذا المنهج أن الأدب صورة من صور الحياة التاريخية ؛ فالتاريخ يظهر في الأدب والفن والثقافة ، وكأنه قد ابتلع الأدب والفن والثقافة ، والأدب ليس صورة مستقلة خاصة بالأديب ٠ فالأديب ليس كيانا مستقلا ، فمن الخطأ " أن يقال إن كل أديب كيان مستقل بذاته فضلا عن أن يقال ذلك في أثر من أثاره : قصيدة أو قصة أو مسرحية ، إنما الأديب وكل أثاره وأعماله ثمرة قوانين حتمية عملت في القديم ، وتعمل في الحاضر وتظل تعمل في المستقبل ، وهو يصدر عنها صدورا حتميا لا مفر منها ولا خلاص إذ تشكله وتكفيه حسب مشيئتها وحسب ما تعمل في تضاعيفها من جبر وإلزام " (٨٢) ٠

وتتمثل هذه القوانين في الظروف المميزة للأديب حياته وأصله وجنسه وبيئته ومكانه وعصره والظروف التاريخية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي يمر بها عصره .

ويعني ذلك أن يسعي هذا المنهج إلي دراسة الأدباء دراسة علمية ، تقوم علي التعرف علي علاقاتهم بأوطانهم وأممهم وآبائهم وأمهاتهم وأسرهم وتربياتهم وأمزجتهم وثقافاتهم وتكويناتهم المادية الجسمية وحواسهم النفسية والعقلية وذلك من خلال البيئة والجنس والوسط أو المكان والجنس والعصر أي البيئة التي ينشأ فيها المبدع والثقافة المعاصرة من تاريخية وسياسية والتربية والعوامل الزمانية والمكانية المؤثرة فيه (٨٣) .

ويقصد بالجنس العنصر البشري المميز للأديب ٠٠ تركي أو عربي أو آريي أو هندي أوربي ، وهي تشير إلي النظرة الموروثة في الأمة ، فلكل أمة منحدرة من جنس معين خصائص فطرية معينة متوارثة من جيل إلي جيل ٠ ويقصد بالبيئة الوسط الجغرافي والمكان الذي يعيش وينشأ فيه الأفراد المبدعون ٠ ويقصد بالعصر الظروف السياسية والثقافية والفنية والدينية والاقتصادية والعلمية التي تحيط ببيئة الأديب وتمثل واقعا ثقافيا حوله " (٨٤) ٠

في إطار هذا المفهوم يصـــبح العمل الأدبي " ظاهرة طبيعية تحددها الحالة العامة للعقلية الجماعية والعادات والأخلاق السـائدة ومجموعة .... القوانين الثقافية والشـروط العامة التي تتحكم في تطور الوقـائع الفنيـة والأدبيـة " (٨٥) ٠ كما يتحول الأدب إلي وثائق تاريخية حضـارية تلغي دور المبدع ، وتجعل منه مجرد وثيقة للظروف الثقافية والسياسية والاجتماعية والجنس والبيئة .

غير أن بعض أصـحاب هذا المنهج وهو لانســون قد اسـتدرك ذلك ، فرأي أن هناك عنصــرا أخر إلي جانب عناصــر الجنس والبيئة والعصــر وهو العنصــر الذاتي الخاص بالأدب وهو الخاضـع للتذوق ويتمثل في " العناصـر الشـخصـية ... التي تحمل القوة العاطفية والفنية في المؤلف الأدبي " (٨٦) ٠

ومن هنا يري لانسـون أننا في تعاملنا مع العمل الأدبي أمام تذوق شـخصـي لأن النص الأدبي يختلف عن الوثيقة التاريخية ؛ بما يثير فينا من استجابات فنية وعاطفية إلي جانب تذوق عام خاص بأخلاقنا ومعتقداتنا وشهواتنا .

ومن هنا فالمنهج التاريخي حاول الجمع بين الذوق الشــخصــي والذوق العام كما يقول لانسون : " ولما كان التاريخ يمكننا من أن لا نرجع كل شيء إلي أنفسنا ، وأن ندرس كل قرن وكل كاتب في ذاته ؛ فإنه بذلك يفتح أمام حســاســيتنا الفنية اتجاها جديدا وممكنات للنشـــاط لا حد لها ، ولا حظر عليها فنحن عندما نقرأ لا تكون اســجابتنا الفنية في العادة تامة النقاء ؛ إذ أن ما نسميه ذوقا ليس إلا مزيجا من المشاعر والعادات والأهواء التي تسـاهم فيها كل عناصـر شـخصـيتنا المعنوية بشـيء ، ومن ثم يدخل في تأثيراتنا الأدبية شيء من أخلاقنا ومعتقداتنا وشهواتنا .

ولكن التاريخ يسـتطيع أن يفصـل عنا حسـاسـيتنا الفنية أو علي الأقل يخضـعها لحكم الصور التي نكونها عن الماضي ، ومن ثم يكون نشاطها الفني عبارة عن إدراك العلاقات التي تربط العمل الأدبي بمثل أعلي خاص أو بمنحني في الصـــياغة معلوم ثم ربط هذين الأخيرين بروح الكاتب أو حياة الجماعة ، أي أننا نأخذ أنفسنا بأن نحس تاريخيا (٨٧)

ويعني ذلك أن هذين الذوقين (الحس – التاريخ) يكونان ذوقا واحدا هو الإحساس بالتاريخ أي الإحساس من خلال التاريخ .

بدأ المنهج التاريخي بجهود (سانت بيف ١٨٠٤ – ١٨٦٩ م) في أحاديثه المعروفة باسم " أحاديث الاثنين " و " أحاديث الاثنين الجديدة " ، فقد نادي فيها بدراسة الأدباء دراسة علمية تربط ما بين الأدباء وعلاقاتهم بأوطانهم ووطنهم وعصورهم وآبائهم وأمهاتهم وأسرهم وتربيتهم .

وتطور مع جهود تين (١٨٢٨ – ١٨٩٣ م) الذي أخضع دراسة المبدع لعناصر الجنس والبيئة أو المكان والعصر ، ونضج مع دراسات لانسون في ضرورة المزج بين عناصر الجنس والبيئة والعصر والذوق الشخصي في القصيدة ثم انزلق النقد التاريخي إلي لون أخر أطلق عليه النقد الاجتماعي وانتقلت أهم مباديء النقد التاريخي إلي النقد الاجتماعي واستقرت به (٨٨) .

وتحول النقد التاريخي إلي النقد الاجتماعي مع تغيرات كثيرة .

وقد حدد لانسون الخطوات الإجرائية العملية لهذا المنهج وتتلخص في " معرفة النصوص ومقارنتها بعضها ببعض لتمييز الفردي من الجماعي والأصيل من التقليدي وجمعها في أنواع ومدارس وحركات ثم تحديد العلاقة بين هذه المجموعات وبين الحياة العقلية والأخلاقية والاجتماعية (٨٩) .

وتنقسم هذه الطريقة إلي جزأين رئيسيين .

الأول : المعرفة الدقيقة الكاملة بالكتاب وطرحها في عدد من الأسئلة :

١– هل نسبة النص صحيحة ؟ أم أنه نص منتقل بأكمله .

٢– هل النص نقي كامل خال من التغيير أو التشويه أو النقص .

٣– ما تاريخ تأليف النص ؟

٤– كيف تغير النص منذ الطبعة الأولي إلي الطبعة الأخيرة التي طبعها المؤلف ؟

٥- كيف تكون النص في أول تسويدة إلي الطبعة الأولي ؟ وعلام تدل التسويدات إن وجدت من حيث ذوق الكاتب ومبادئه الفنية ونشاطه النفسي ؟

الثانية : تفسير النص من الكلمة إلي الجملة إلي المعني الخاص والعام ضمن الظروف التاريخية والسياسية والثقافية المعاصرة :

١- التعرف علي المعني الحرفي للنص : معني الألفاظ والتراكيب مستعينين بتاريخ اللغة وبالنحو وبعلم التراكيب التاريخي ثم معني الجمل بإيضاح العلاقات الغامضة والإشارات التاريخية أو الإشارات التي تتعلق بحياة الكاتب نفسه .

٢- تحديد المعني الأدبي للنص وما فيه من قيم عقلية وعاطفية وفنية وما يرتبط بها من حالات نفسية وآراء أخلاقية وفلسفية واجتماعية ودينية .

٣- التعرف علي تكوين العمل الأدبي وأنواع الأمزجة والملابسات المصاحبة له

٤- النجاح والتأثير الذي للنص الأدبي وتحديدها (٩٠) .

ويمكن بهذه الخطوات والإجراءات تطبيق المنهج التاريخي علي أي نص .

٣ - المنهج الاجتماعي :

يري هذا المنهج أن الأدب وثيقة اجتماعية وتعبير عن المجتمع وما يجري فيه من تقاليد وعادات ونظم وأوضاع ومباديء وأفكار يصدر الأدب عنها ، ويظهر في إبداعاته ٠٠فالأديب يعكس مشاعر المجتمع وبواعثه ونوازعه وآماله وآلامه وينشر ذلك .

وبهذا المنهج يدرس النقاد وعلماء الاجتماع الأدب دراسة اجتماعية بغية أن يتعرفوا علي انعكاسات المجتمع في الأدب ، وما في البيئة من ظواهر اجتماعية ومدي تأثيرها في أدبه محاولين النفاذ إلي طبقة الأديب الاجتماعية التي ينتمي إليها وما عاش فيها من أوضاع اقتصادية ، ومدي استجابته لموقف طبقته وصدوره عنها في أثاره ، ومدي مشاركته في تكييف مجتمعه ومشاركته في قضاياه ومشاكله ومعاركه ودفاعه عنه بالقلم في مقالته أو قصيدته أو قصته أو مسرحيته. (٩١) ٠

ومعني ذلك أن هذا المنهج يدرس المجتمع في الأدب من خلال ثلاث خطط :

" أولا : المجتمع الواقعي حيث ظهر للكاتب وحيث أنتج عمله .

ثانيا : المجتمع الذي ينعكس مثاليا في نطاق العمل نفسه .

والأخير قد يكون عبارة عن أدب العادات سياسيا أو هاجيا أو أخلاقيا أو خطة إصلاح اجتماعي في العمل " (٩٢) .

هناك في علم الاجتماع تياران :

الأول : يدرس الأدب علي اعتباره جزءا مكونا من الحركة الثقافية مثله في ذلك مثل بقية مظاهر الحياة الثقافية ، ويقوم هذا الاتجاه علي تجميع مجموعة من البيانات الدقيقة عن الأعمال الأدبية .

الثاني : يدرس الأدب باعتباره انعكاسا وتمثيلا للحياة وينطلق عند ممثله لو سيان جولدمان من عدة نقاط هي :

١- الأعمال الأدبية تعبر عن الوعي الطبقي للفئات والمجتمعات المختلفة ، فالأديب يختزل في أدبه ضمير الجماعة ورؤية الجماعة التي ينتمي إليها .

٢- الأعمال الأدبية تتميز بأبنية دلالية كلية تختلف من عمل إلي آخر(٩٣) .

ولكل من التيارين خطواته الإجرائية الخاصة .

هوامش الفصل الأول :

١- الفيروزآبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي : القاموس المحيط – القاهرة – مصطفي البابي الحلبي ١٩٥٢ ط٢ ج١ ص٣٧

٢- ابن فارس : أبي الحسين أحمد بن فارس بن ذكريا (ت٣٩٥هـــ) : معجم مقاييس اللغة ٠تحقيق وضبط : عبد السلام محمد هارون – بيروت – دار الجيل ١٩٩١م ط أولى ج١ ص(٧٤ – ٧٥)

٣- ابن منظور (ت ٧١١ هـ) محمد بن المكرم : لسان العرب ٠ تحقيق لجنة من دار المعارف – القاهرة دار المعارف د٠ت ص٤٣

٤- لسان العرب ص٤٣

٥- أحمد الشايب : أصول النقد الأدبي القاهرة مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٣ ط٨ ص١٥ ناقلاً عنه في الأدب الجاهلي طه حسين ص١٨ ، في أصول الأدب لأحمد حسن الزيات ص٨

٦- أصول النقد الأدبي ص١٥

٧- أصول النقد الأدبي ص ٣-١٢

وانظر أيضاً : شوقي ضيف : العصر الجاهلي القاهرة دار المعارف ١٩٨١م ط٩ ص ٧-١٠

٨- تخريج الحديث : البخاري الكتاب ٦١الباب ٢٣/ الكتاب ٧٨ الباب ٣٩/ ٤٤

٩- ابن خلدون : المقدمة بيروت المطبعة الأدبية ١٨٧٩ م ص ٥٠٦

١٠- محمد عبد الجواد : تقويم دار العلوم (العدد الماسي) ٠القاهرة كلية دار العلوم ١٩٩١م ج٢ ص ٩٢٩-٩٣١

١١- وحدة النشر العلمي بكلية الآداب جامعة القاهرة : دليل كلية الآداب ٠القاهرة كلية الآداب ١٩٩٧م ص ٨٢/ ١٠٧-١١٧

١٢- جبور عبـد النور – المعجم الأدبي بيروت دار العلم للملايين ١٩٨٤ ط٢ ص٣١٦-٣١٧

١٣- عبد المنعم تليمة : مقدمة في نظرية الأدب ٠القاهرة دار الثقافة ١٩٧٦م ص١٦٩

١٤- انظر : مقدمة في نظرية الأدب ص ١٧١-٢١٥

أحمد الســعدني : نظرية الأدب : الجزء الأول : مقدمة في نظرية الفن ٠ أسيوط مكتبة الطليعة ١٩٧٩م ص ١٩٠-٢٠٨

١٥- مقدمة في نظرية الأدب ص ٢٠٦

١٦- مقدمة في نظرية الأدب ص ٢١٤-٢١٥

١٧- المعجم الأدبي ص١٩٥

١٨- مجدي وهبة وكامل المهندس – معجم المصــطلحات العربية في اللغة والأدب ٢٤٢ ، المعجم الأدبى ص٨

١٩- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ص١٣٤

٢٠- مجدي وهبة معجم مصطلحات الأدب ١٩٧٤ م ص ٢٩

٢١- عدنان عبيد العلي : منهجية تاريخ الأدب بين الأصــالة والتجديد . مجلة البيان الكويتية عدد ٢٣٣ أغسطس سنة ١٩٨٥ م ذو القعدة ١٤٠٥ هـ ص ٥٤ – ٥٥

٢٢- كارل بروكلمان : تاريخ الأدب الجاهلي ٠ نقله إلى العربية : عبد الحليم النجار الجزء الأول القاهرة دار المعارف ١٩٨٣م ط٥ ص٣٢-٣٣

٢٣- تقويم دار العلوم : إعداد محمد عبد الجواد ٠ القاهرة دار المعارف ١٩٦٠م ص ١٧٨-١٨٢

٢٤- عبد السلام الشاذلي : الأسس النظرية في مناهج البحث الأدبي العربي الحديث : بيروت دار الحداثة ١٩٨٩م ط أولى ص ١٩١ ، نقلا عن : محمد عبد الغني حسن : جرجي زيدان : القاهرة الهيئة المصية العامة للتأليف والترجمة ١٩٧٠م (سلسلة أعلام العرب العدد ٩٠) ص٨٨-٨٩

٢٥- منهجية تاريخ الأدب بين الأصالة والتجديد ص ٥٥ .

٢٦- انظر / العصر الجاهلي د. شوقي ضيف القاهرة دار المعارف ١٩٨١ م ص١٤

٢٧- منهجية تاريخ الأدب بين الأصالة والتجديد ص ٥٧ - ٥٩ .

٢٨-يوسف خليف:مناهج البحث الأدبي٠القاهرة دار الثقافة ١٩٩٧م ص٤٦

٢٩- مناهج البحث الأدبي ص ٤٥

٣٠- لسان العرب ص ٤٥١٧

٣١- مقاييس اللغة ابن فارس ج٥ ص٤٦٧

٣٢- مقاييس اللغة ج٥ ص٤٦٨

٣٣- لسان العرب ص٤٥١٧

٣٤- محمد عزام : مصطلحات نقدية من التراث الأدبي العربي دمشق وزارة الثقافة ١٩٩٥ ص٥٣١

٣٥- نفسه ص٥٢٩

٣٦- قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) : نقد الشعر ٠ تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي - القاهرة مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧١ ط أولى ص٦٢

٣٧- نفسه ص٦١

٣٨- القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت٣٦٦ هـ) : الوساطة بين المتنبي و خصومه . تحقيق و شرح محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي . القاهرة عيسى الحلبي د.ت ص١٥

٣٩- الوساطة ص ٤١٢ - ٤١٣

٤٠- انظر : مصطلحات نقدية من التراث الأدبي العربي ص ٥٣٠

إحســـان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ٠ بيروت دار الثقافة ١٩٧٨ ط ٢ ص ٣٢١

٤١- - الآمدي : أبو القاسم بن بشر الآمدي (ت ٣٧٠ هـــ): الموازنة بين أبي تمام والبحتري القاهرة دار المعارف ١٩٩٢ م ط ٤ ج١ ص٦

٤٢- الموازنة بين أبي تمام والبحتري ج١ ص ٤١٤

٤٣- أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـــ) : كتاب الصناعتين الكتابة و الشعر تحقيق وضبط مفيد قميمة بيروت دار الكتب العلمية ١٩٨١م ط أو لى ص١٩ .

٤٤- الســـكاكي : أبو يعقوب يوســـف بن أبي بكر محمد بن علي الســـكاكي (ت ٦٢٦هـ) : مفتاح العلوم .ضبط وشرح نعيم زرزور القاهرة دار الكتب العلمية ١٩٨٣م ص٤١٥

٤٥- مفتاح العلوم ص ٤١٧- ٤٢٢

٤٦- الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـــ) : الإيضاح في علوم البلاغة . تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي . القاهرة مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٤ ج١ ص٤١ .

٤٧- الإيضاح ج١ ص٢٨ .

٤٨- الإيضاح ج١ ص٥٢ .

٤٩-الإيضاح ج٤ ص٤-٥ .

٥٠-الإيضاح ج٦ ص٤ .

٥١- انظر : * محمد إبراهيم نصر : النقد الأدبي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام – القاهرة – دار الفكر العربي ١٩٧٨م ص٣٨-٤٣ .

* محمد طاهر درويش : النقد الأدبي عند العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري – القاهرة – دار المعارف ١٩٧٩م ص٣٠-٣٣ .

٥٢- لسان العرب ص ٣٤٣٦ .

٥٣- نفسه ص ١٥١٠ .

٥٤- نفسه ص ١٥٢٦ .

٥٥- نفسه ص ١٥٢٦-١٥٢٧ .

٥٦- عبد القادر الجرجاني : دلائل الإعجاز ٠تحقيق محمود شـــاكر – القاهرة مكتبة الخانجي ١٩٨٤م ص٥٧ .

٥٧- أصول النقد الأدبي ص١٢١-١٢٢ .

٥٨- نفسه ص١٢٢-١٢٣ .

٥٩- نفسه ص١٢٣-١٢٦ .

٦٠- المقدمة : ابن خلدون ص٥١١-٥١٢ .

٦١- المقدمة ص٥١١ .

٦٢- ابن الأثير : المثل الســائر في أدب الكاتب والشــاعر – تحقيق بدوي طبانة – القاهرة ١٩٥٩ م ج١ ص٤٢-٤٣ .

٦٣- محمد طاهر درويش :النقد الأدبي عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري. ص٣٦ .

٦٤- ابن سلام الجمحي : محمد بن سلام (ت٢٣١هـــ) : طبقت فحول الشعراء ٠ تحقيق محمود محمد شاكر القاهرة مكتبة الخانجي ١٩٧٤م ج١ ص٥-٦٠

٦٥- منصـــور عد الرحمن :اتجاهات النقد الأدبي من الجاهلية إلى نهاية القرن الرابع الهجري القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية د.ت ص١٥

٦٦- المعجم الأدبي ص٢٨٣-٢٨٤

٦٧- **martin gray:a dictionary of literary terms . London .york press , librairie de liban ١٩٨٤ p.٥٧**

٦٨- إبراهيم فتحي : معجم المصطلحات الأدبية ٠القاهرة دار شرقيات ٢٠٠٠م ط أولى ص ٢٥٣-٢٥٤

٦٩- معجم المصطلحات الأدبية ص ٦٢

٧٠- ميجان الرويلي و سعد البازعي : دليل الناقد الأدبي ، الدار البيضاء المركز الثقافي العربي ٢٠٠٠م ص١٨٧

٧١- دليل الناقد الأدبي ص١٨٦

٧٢- محمد مندور : الأدب ومذاهبه ،القاهرة مكتبة نهضة مصر د ت٤٩ .

٧٣- جابر عصفور : نظريات معاصرة ،القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩ م ص ٢٤ – ٢٥ .

٧٤- محمد غنيمي هلال : الرومانتيكية ، القاهرة نهضة مصر د ت ص ٤٥

٧٥- الرومانتيكية نفسه ص ٤٨ – ٩٤ .

٧٦- صلاح فضل : مناهج النقد المعاصر ، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧ م ص ٥٨ .

٧٧- مناهج النقد المعاصر ص ٥٩ وما بعدها .

٧٨- نظريات معاصرة ص٣٣

٧٩- نفسه ص ٢٦ .

٨٠- نفسه ص ٣٥ .

٨١- مصري عبد الحميد حنورة : الدراسة النفسية للإبداع الفني منهج وتطبيق ، مقال بمجلة فصول القاهرية المجلد الأول العدد الثاني يناير ١٩٨١ ص ٤٥ .

٨٢- شوقي ضيف : البحث الأدبي ، القاهرة دار المعارف ١٩٨٣ ص ٨٥ – ٨٦

٨٣- البحث الأدبي ص ٨٥-٨٦

٨٤- انظر : البحث الأدبي ص٨٨ وما بعدها

مناهج النقد المعاصر ص٣٤-٣٥ وما بعدها

٨٥- سمير سعيد حجازي : المناهج المعاصرة لدراسة الأدب ٠القاهرة ٠ د٠ت ص ٢٠-٢٤

٨٦- لانسون ومابيه : منهج البحث في الأدب واللغة :ترجمة محمد مندور ٠ ملحق بكتاب النقد المنهجي عند العرب : محمد مندور ٠القاهرة دار نهضة مصر ص ٣٩٩

٧٨- النقد المنهجي ص ٤٠٥ .

٨٨- مناهج النقد المعاصر ص ٣٦

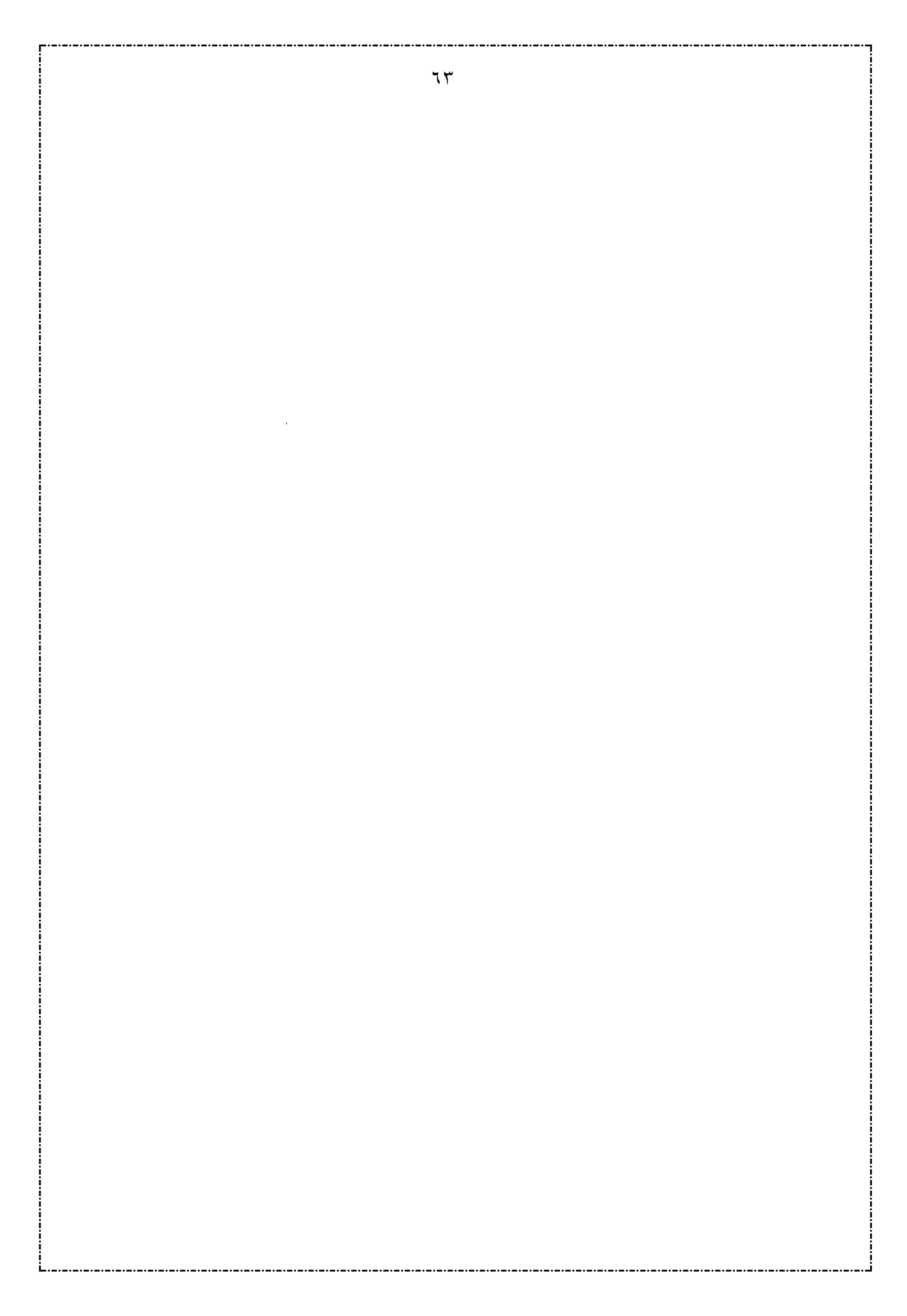
٨٩- النقد المنهجي ص ٤٠٩

٩٠- نفسه ص ٤٠٩ – ٤١٢

٩١- البحث الأدبي ص ٩٦ – ١٠٥

٩٢- مناهج النقد المعاصر ص ١١٨

٩٣- مناهج النقد المعاصر ٤٥-٥٢



الفصل الثاني

مبادئ النقد الأدبي

في عصر الرواية

مر النقد العربي بتطور كبير منذ العصـــر الجاهلي وحتى نهاية القرن العاشـــر الهجري وتحول النقد الأدبي من ملاحظات فطرية بســـيطة ســـاذجة تقوم علي مجرد التذوق والإحساس الأول البسيط والعابر ..... إلي قواعد محددة لقياس جودة البيت والقصيدة من رداءتها .

غير أنه يمكن التمييز بين مرحلتين أساسيتين مر بهما النقد الأدبي والأدب العربي عموما وهما :

الأولى :مرحلة الرواية .

الثانية :مرحلة التدوين.

تعني الرواية نقل الشعر وأخباره ونقده ، وما يتصل به من ملاحظات نقلا شفاهيا بين الرواة وبين الناس في مجالس الســـمر وجلســـات البادية ومجتمعات القبائل وحلقات المباريات الأدبية في ســـوق عكاظ وذي المجاز وندوات الأدباء والنقاد على نطاق عام وخاص .ولم يكن الشـعر يدون وذلك لشـيوع الأمية وعدم معرفة القراءة والكتابة بين الكثيرين بين العرب ؛ فكانوا يعتمدون على الذاكرة في نقل النص الأدبي وإلقائه وسماعه وترديده أي روايته .

وكان أهل الشـاعر وعشـيرته وقبيلته هم الذين يروون أشـعاره وأخباره ؛ لأنهم يعتبرونه لســـان حالهم والمعبر عما في نفوســـهم والمذيع لأخبارهم والمســـجل لمآثرهم وأمجادهم وكذلك أصـــدقاؤه ، فيحفظون ما يقول عن ظهر قلب ، ويرددونه في كل مكان ، ويتلقاه الأبناء عن الأباء في زهو وافتخار ، يتغنون به (١) ، ويعتبرونه إرثا .

وعلى هذا كانت الرواية الشفهية هي سبيل الحفظ والنشر والجمع والبقاء للأثار الأدبية وما يحيط بها من أخبار الشـــاعر وما قيل في مدحه والإطراء عليه ، وما قيل في نقده ، واستمرت هذه الطريقة حتى عصر التدوين في أواخر العصر الأموي .

وأجمع كثير من المؤرخين للأدب على أن التدوين قد بدأ في أواخر العصـــر الأموي ، واستمر حتى بلغ ذروته في عصرالعباسيين ، كما يقول بروكلمان " ولم يبدأ جمع الشعر العربي إلا في عصـر الأمويين ،وإن لم يبلغ هذا الجمع ذروته إلا على أيدي العلماء في عصـر العباســيين " (٢) .ويعود ذلك إلى تشـــجيع الأمويين على التدوين ؛ فقد كانوا يحبون الأدب وعقد المجالس الأدبية للمنافســة في صـــنع الأدب وروايته ، وقد أمروا بتدوين أخبار الأدب حيث أمر معاوية بن أبي سفيان بتدوين شعر عبيد بن شربة ،كما واصل العباسيون هذا التشجيع على الرواية والتدوين وعقد الندوات والمجالس لإلقاء الشعر .
ومن هنا احترف بعض الرواة الرواية والحفظ والتدوين ، وانقســموا في ذلك إلى أجيال أوطبقات لما وجدوه من اهتمام وتقدير الخلفاء والأمراء والولاة والحكام (٣) ، ومن ورائهم ظهر نوع جديد من الوراقين والنساخ الذين يقومون بنسخ الكتب وبيعها .
وقد قسم مؤرخو الأدب أجيال الرواة إلى أربعة أجيال :

الجيل الأول :وقد ظهر في نهاية القرن الأول الهجري والنصــف الأول من القرن الثاني.وكان على رأس البصرة أبو عمرو بن العلاء (٧.ــ١٥٤هــ) ، وفي الكوفة حماد الراوية وكانوا يدونون من أعراب البادية ، أو يعتمدون على المدونات في أحيان قليلة .وقد اعتد المؤرخون برواية عمرو بن العلاء ، وشكوا في روايات حماد .

الجيل الثاني: من النصف الأول من القرن الأول حتى نهاية القرن الثاني وعلي رأس رواة البصرة خلف الأحمر (١١٥-١٨٠هـ) ، وعلى رأس رواة الكوفة المفضل الضبي (١٧٠هـ) ، ويعتد المؤرخون برواية المفضل ويشكون في رواية خلف.

الجيل الثالث :وقد استكمل جمع النصوص الشعرية وما يتعلق بها من أخبار ثم توثيق هذه النصوص أو تصفيتها من الشوائب مستعينين بمنهج المحدثين

الجيل الرابع :في القرن الثالث الهجري وقد أكملوا الجمع وبعدهم بدأت حركة التدوين ،وفي القرن الرابع بدأت مرحلة الشرح (٤) .ومن رواة البصرة ابن حبيب (٣٤٥هـــ) والسكري (٢١٢هـ) ، ومن رواة الكوفة ابن السكيت (٢٤٥هـ) وثعلب (٢٩١هـ) ،.ويعد المرزباني (٣٧٨ه) آخر هؤلاء الرواة.

وفي عصر الرواة ترسخت معالم القصيدة العربية جاهلية وإسلامية في فنون المدح والغزل والهجاء والرثاء والوصـــف والحكمة وغيرها ، كما ألقيت العديد من الملاحظات التي تطري أبياتا بعينها أو قصائد بعينها ، وتطلق عليها مسميات المعلقات .. ،أو تقدح في أبيات بعينها أو تنقد أبياتا بعينها وشكل هذا نوعين من الشعر :

١ـــ الشعر المقبول وهو يمثل القصائد والأشعار التى تمثل قمة الإبداع الشعري في المعلقات مثلا ،ثم الشعر الأقل جودة ولم يوجه إليه نقد .وقد شكلت روعة هذا الشعر مقاييس وقواعد الجودة في المفردات والتراكيب والصورة والموسيقى .

٢ـالشعر غير المقبول وهو يضم الأبيات التى قوبلت بالملاحظات النقدية والاعتراضات على مفرداتها أو تراكيبها أوصـورها أو موسـيقها .وشـكلت هذه الملاحظات عدد من الأحكام والمقايسس النقدية .

لقد شكلت القواعد المقبولة المستخرجة من الشعر المقبول والقواعد المستخرجة من الملاحظات في عصور الجاهلية والإسلام حتى التدوين ..أساسا ضخما لعدد من المبادئ والقواعد النقدية التى اعتمد عليها النقاد في عصـر التدوين ،واستمد منها نقاد المعارك النقدية .

فقد اعتمد عليها الآمدي في الموازنة بين البحتري وأبي تمام في موازنته ، وكذلك اعتمد عليها القاضــي الجرجاني في وســاطته بين المتنبي وخصــومه،وكذلك ابن يموت في كشــفه لسرقات أبي تمام ،وشرح المرزوقي للحماسة وغيرها .

ويكن تلمس ذلك هنا من خلال دراســـة النماذج النقدية والملاحظات النقدية في العصور الجاهلية والإسلامية والأموية التى سبقت عصر التدوين.

في العصر الجاهلي :

ففي العصر الجاهلي نجد ملاحظات عامة حول أشعر شاعر أو أشعر بيت قالته العرب ، وقد تظهر ملاحظات فنية أو واقعية أو اجتماعية أو خاصــة بالإنســان أو الأخبار مما يجعلها تمثل ملاحظات وقيما نقدية ، اعتمد عليها فيما بعد نقاد القرن الثاني والثالث الهجريين .

فمن أمثلة ذلك مقارنة أم جندب امرأة امرئ القيس بين زوجها ، وعلقمه الفحل في دقة الوصف ودقة اختيار المفردات المناسبة لوصفه لسرعة فرسه في هذه الواقعة :

" ... تنازع امرؤ القيس بن حجر وعلقمة بن عبدة وهو علقمة الفحل في الشـــعر : أيهما أشعر ؟ فقال كل واحد منهما : أنا أشعر منك فقال علقمة : قد رضيت بامرأتك أم جندب حكما بيني وبينك فحكماها ، فقالت أم جندب لهما : قولا شــعرا تصــفان فيه فرسيكما علي قافية واحدة وروي واحد فقال امرؤ القيس :

خليليَّ مُرَّا بي علي أُمِّ جُنْدُبِ   نَقضِّي لُبَناتِ الفؤاد المعذَّب

وقال علقمة :

ذهبْتَ من الهجران في غير مَذْهب   ولم يكُ حقّا طولُ هذا التجنبُّ

فأنشـداها جميعا القصـيدتين فقالت لامرئ القيس : علقمة أشـعر منك ، قال : وكيف ؟

قالت لأنك قلت :

فللسَّوْط أُلْهُوبٌ وللساق دِرَّةٌ   وللزَّجر منك وقْعٌ أَخَرج مهذبُ

الأخرج : ذكر النعام / والخرج : بياض في سواد وبه سمي ، فجهدت فرسـك بسوطك في زجرك ومريته فأتعبته بساقك .

وقال علقمة :

فأدركهنَّ ثانيا من عِنانِه   يمرُّ كمرِّ الرائح المُتَحلْبِ

فأدرك فرسه ثانيا من عنانه لم يضربه ولم يتعبه .

فقال : ما هو بأشعر مني ، ولكنك له عاشقة ؛ فسمي الفحل لذلك " (٥) .

ففي هذه الفقرة يبدو التنازع في شيء عام وهو الشـاعرية ، وهي اعتبار الشـاعر شـاعرا مجيدا أم لا ، والمحكم امرأة تعرف الشـعر وتفقهه ، وهي تلحظ ملاحظة ذكية خاصـة بدقة الوصـف المبالغ للواقع ، فقد رأت أن امرءا القيس قد اسـتعمل القسـوة في معاملة فرسـه فقد ضـربه بالسـوط وزجره فاندفع سـاقه وأسـرع في سـيره كما لو كان ذكر النعام ، وهنا السرعة ليست من صفات فرسه بل هي مجلوبة بالضرب والزجر والتعب ، وهذا قدح في وصـف فرسـه بالسـرعة ، بينما علقمة لم يضـرب فرسـه ولم يتعبه بل شـد عنانه فاندفع الفرس ، وهذا يعني أنه سـريع بطبعه ، فالأدق في الوصـف علقمة ؛ فألفاظه تناسـب وتدل علي السـرعة أكثر من امرئ القيس ، وهذه ملاحظة دقيقة وهي مناسبة الألفاظ للمعاني التي ظهرت عند النقاد وفيما بعد .

ومن أمثلة ذلك أيضا ...... " أن النابغة الذبياني قال للنعمان بن المنذر :

تراك الأرضُ إِمَّا مِت خِفًّا   وتحي إنْ حَيِيتَ بها ثقيلا

فقال النعمان : هذا بيت إن أنت لم تتبعه بما يوضح معناه كان إلى الهجاء أقرب منه إلى المديح ، فأراد ذلك النابغة ، فعسر عليه ؛ فقال أجلني . قال : قد أجلتك ثلاثا ، فإن أنت اتبعته ما يوضح معناه فلك مائة من العصافير نجائب ، وإلا فضربة بالسيف أخذت منك ما أخذت .

فأتي النابغة زهير بن أبي سلمي فأخبره الخبر ، فقال زهير : اخرج بنا إلي البرية فإن الشعر بري ، فخرجا ، فتبعهما ابن لزهير يقال له كعب ، فقال ياعم : أردفني ، فصاح به أبوه ، فقال النابغة : دع ابن أخي يكون معنا فأردفه ، فتجاولا البيت مليا ، فلم يأتهما ما يريدان ، فقال كعب : فما يمنعك أن تقول :

وذاك بأن حَلَلْتَ العزَّ منها   فتمنع جانبيها أنْ يَزُولا

فقال النابغة : جاء بها ورب الكعبة ، ولسنا والله في شيء ، قد جعلت لك يا ابن أخي ما جعل لي . قال : وما جعل لك يا عم ؟ قال : مائة من العصافير نجائب . قال : ما كنت لآخذ علي شعري صَفَدًا فأتي النابغة بالبيت فأخذ ما ئة ناقة سوداء الحدقة " (٦) .

وفي هذه الفقرة نجد محور الحديث عن بيت في المدح ، لكنه قريب إلي الهجاء وهذه الملاحظة تحولت فيما بعد إلي مبدأ بلاغي في البديع ، وهو المدح المراد به الهجاء ، أو الهجاء المراد به المدح ، أو ما يعرف بتأكيد المدح بما يشبه الذم وتأكيد الذم بما يشبه المدح (٧) ...

ومن هذه الملاحظات قياس الشعر بالواقع أي البحث عن الصدق والكذب في الشعر مثل هذه الملاحظة :

" أنكر قوم من أهل العلم علي مهلهل قوله :

فلولا الريحُ أُسْمع أهل عَجْر صليل البيض تُقْرَع بالذكور

وقالوا : هو خطأ وكذب من أجل أن بين موضع الوقعة التي ذكرها وبين حجر مسافة بعيدة جدا "(٨) .

فالشاعر يريد أن يقول إن صليل السيوف البيضاء في وقعة الذكور يسمعها أهل منطقة حجر ، وبينهما مسافة بعيدة يستحيل بسببها سماع ذلك ، فهنا مبالغة ممقوتة وقد عيبت المبالغة ، واستحسن الصدق عند النقاد بعد ذلك .

وهي ملاحظات عديدة تخص الدقة في المعني ، وملابسة الألفاظ للمعاني ، والقياس إلى الواقع ، والمبالغة والمطابقة وللتاريخ وأيام العرب وهي ما صارت قواعد للحكم علي جودة القصيدة في رداءتها فيما بعد ، بل إن في ألقاب الشعراء ما يوحي بالمقاييس الساذجة لقياس جودة الشعر من ردائته من أمثال : المثقب (المثقب العبدي) والمرقش الأكبر والأصغر والممزق والمنخل والمهلهل والنابغة والفحل ، فالمهلهل سمي بذلك لأنه كما يقول ابن سلام : " وإنما سمي مهلهلا لهلهلة شعره كهلهلة الثوب وهو اضطرابه واختلافه " (٩) ، وغيرها من المسميات .

ويؤخذ علي هذه الملاحظات أنها جزئية مجملة تتناول التراكيب أو المعاني أو المفردات والتأكد من صحتها أو خطئها ، وهي تخص موضوع البيت أو البيتين وليس موضوع القصيدة ككل ، ولا تلزم منهجا أو طريقة محددة ، فهي ملاحظات ساذجة تتناسب وثقافة وذوق قائلها ، وتتناسب وروح عصره وبيئته وانفعاله السريع لما يسمع ، وتعبر عن ذاتية صاحبها وفطريته التي جبل عليها .

وتتوقف هذه الملاحظات علي مدي خبرة الناقد التي كونتها دربته الملحة وممارسته الطويلة لسماع قصائد الشعراء ودراستها ، ثم إبداء ملاحظات نقدية حول مفرداتها أو تراكيبها ، كما كونتها قدرته علي قول الشعر وهي صفات توافرت في النابغة الذي تعود حضور الأسواق كسوق عكاظ وذي المجاز والتحكيم بين الشعراء ...

فالنقد الأدبي بدا في أوليته معتمدا علي " الذوق والموهبة والخبرة والمعرفة والتجارب الأدبية ، وأنه في الغالب كان أحكاما ذاتية مجملة ، يرسلها النقاد لايعنون معها بذكر الأسباب أو تعليل الأحكام أو تفصيل وجهة نظرهم " (١٠) ، غير أنها في رأي شكلت في مجملها نقاط جزئية انتقلت إلي النقاد في العصر الإسلامي والأموي فوسعوها وإلي القرن الثالث الهجري ... ، فتناولها النقاد في كتبهم .

النقد في عصر صدر الإسلام :

بعث الرسول صلي الله عليه وسلم ، وجاء الإسلام إلي العرب ، وانتشر في جزيرة العرب في عصر الرسول صلي الله عليه وسلم ، فأحدث تغييرا جذريا في كل نواحي الحياة بين العرب السياسية في تحويله للعرب البدو المشتتين إلي دولة واحدة تجمعهم نظم وقوانين جديدة تحدد العلاقة بين الفرد ومجتمعه الأكبر ، وهو الدولة الواحدة لا القبيلة ، وأصبح انتماءه للدولة لا للقبيلة ويشركه في جيش الدولة لا جيش القبيلة .

ومن الناحية الاجتماعية حيث أحدث تغيرا قويا في العادات والتقاليد ، فأعلي من عادات الكرم وشجع عليها وألغي عادة وأد البنات ونظم الأسرة والزواج والطلاق ، وحدد المواريث فأوجد تهذيبا وترتيبا وتنظيما اجتماعيا أعلي من مكانة المرأة ، وساواها بالرجل على نحو لم يكن معهودا في الجاهلية ..

ومن الناحية الدينية حطم الإسـلام فيها أوثان الجاهلية ، وجمع العرب علي عبادة الله الواحد القهار ، والصـلاة إلي مكان أوحد هو الكعبة المشـرفة ، ووضـع أسـس عقيدته تتمثل في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسـله واليوم الآخر والقدر حلوه ومره وخير هـ وشـره ، ودعا إلي سـلوكيات جديدة توحد الأمة تتمثل في الصـلاة والزكاة والصـيام والحج ، وتنبثق كلها من معني الإسـلام والإيمان والإحسـان ودعا الإسـلام إلي التأمل في الكون والحث علي العلم والفهم والكشف لكل جديد نافع ومفيد ٠٠٠

ومن الناحية الأدبية في اعتباره الأدب عامة والشـعر خاصـة نوع من الحكمة في قول النبي صلي الله عليه وسلم " إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا "(١١) ، وفي تشجيع الشعراء واعتبار الشعر ديوان العرب يحفظ تاريخها وثقافتهم وتقاليدهم وعاداتهم ، ووجد الإسـلام في الشـعر والأدب وسيلة من وسـائل الدفاع والدعوة إلي الإسـلام ، كما جاء في حض الرسـول صـلي الله عليه وسـلم لحسـان بن ثابت علي هجاء قريش والرد عليها والدفاع عن الإسلام : " ياحسان .. اهجهم ...... وروح القدس معك " (١٢) ، وجاء الإسـلام بالقرآن الكريم كتاب الله المكين معجزة الله في أرضـه ، يتحدي العرب أن يأتوا بمثله ، وقد وقف العرب المسـلمين في محاولة لتفهم دلالته اللفظية وجمله ومعانيه الدينية والكونية والعلمية والتعليمية والثقافية والتفكيرية . ووضـع القرآن الكريم وحديث النبي صـلي الله عليه وسـلم وظيفة جديدة للشـعر والأدب تقوم علي أسـس أخلاقية و دينية وفنية تتمثل في :

أولا : للشعر وظيفة دينية وهي الدعوة إلي الإسلام وذلك لما للشعر من أهمية كبيرة بين العرب وقد قال تعالي : " والشـعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون مـالا يفعلون * إلا الـذين آمنوا وعملوا الصـالحـات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا ..." (سورة الشعراء : الآيات ٢٢٤-٢٢٧) ، ويريد بهم شعراء الرسول صـلى الله عليه وسـلم الذين ينتصـرون له ، ويحاربون المشـركين عنه مثل حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك (١٣) .

فالشعر من واجبه الانتصار للإسلام وللدعوة الإسلامية ، ولذلك فقد أذن النبي صلي الله عليه وسلم لحسان بن ثابت في الدفاع والرد على قريش عنه في الخبر الذي فيه ٠٠٠" ... أتي حسان بن ثابت إلي النبي صلي الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن أبا سفيان بن الحارث هجاك ، وأسعده علي ذلك نوفل بن الحارث وكفار قريش ، أفتأذن لي أن أهجوهم يا رسول الله ؟ فقال النبي صلي الله عليه وسلم : فكيف تصنع بي ؟ فقال : أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين ! فقال له : اهجهم وروح القدس معك واستعن بأبي بكر فإنه علامة قريش بأنساب العرب ...... " (١٥) ، وجعل الرسول صلي الله عليه وسلم لحسان بن ثابت مجلسا ينشر فيه الشعر في مسجد رسول الله صلي الله عليه وسلم (١٥) .

وكافأ النبي كعب بن زهير علي قصيدته البردة بأن أعطاه بردته الشريفة ، وعفا النبي صلي الله عليه وسلم عن أبي عزة الشاعر ، وكان رجلا ذا عيال حين أسر يوم بدر ؛ لأنه عاهد النبي صلي الله عليه وسلم علي أن لا يهجو النبي صلي الله عليه وسلم مرة أخري فمَنَّ الرسول صلي الله عليه وسلم عليه ؛ غير أنه قتل يوم أحد عندما عاد للهجاء ونكث العهد (١٦) ٠

وعلي هذا فللشعر في عصر صدر الإسلام وظيفة دينية هي الدفاع عن الإسلام بمدح الرسول صلي الله عليه وسلم والدعوة إلي الإسلام والمناداة بمبادئه وقيمه أو الرد علي المشركين وهجائهم وكسر دعواهم ضد الإسلام .

ثانيا : للشعر وظيفة أخلاقية : فقد أعجب النبي صلي الله عليه وسلم بالشعر ومدح به ، واعتبره ديوان العرب ، ووجد الرسول صلي الله عليه وسلم الشعر داعيا إلي الحكمة والأخلاق الفاضلة فقال صلي الله عليه وسلم : " إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا " ، ويري الرسول صلي الله عليه وسلم أن الشعر لابد أن يدعو إلي الأخلاق ومنها الصدق ، وأن يكون الشاعر صادقا فيما يقول ،

ولذلك استحسن الرسول صلي الله عليه وسلم قول نابغة بني جعدة :

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادر تحمي صفوة أن يكدرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال له النبي صلي الله عليه وسلم : لا فض الله فاك " (١٧) .

وأعجب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بشعر زهير وذلك لأنه كان " لا يمدح الرجل إلا بما فيه " (١٨) ٠

فالصدق من حسن الأخلاق وهو فضيلة يدعو إليها الإسلام ، كما قال النبي صلي الله عليه وسلم : " الصدق يهدي إلي البر ، والبر يهدي إلي الجنة ، وما يزال الرجل يصدق حتي يكتب عند الله صديقا " (١٩) ٠ وقتل عمر بن الخطاب عبد بني الحسحاس ؛ لأنه تغزل بالغزل الفاحش ، وكان ثملا (٢٠) ٠ وقضي عمر بن الخطاب علي الحطيئة بالسجن في حفرة من الأرض ؛ لأنه هجا الزبرقان بن بدر (٢١) ٠

ويذكر أبو زيد القرشي من نصائح عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنه عبد الرحمن : " يا بني صل رحمك واحفظ محاسن الشعر يحسن أدبك " ...(٢٢) ... ويضيف من وصاياه رضي الله عنه " ارووا الشعر من الشعر أعفه ، ومن الحديث أحسنه .... محاسن الشعر تدل علي مكارم الأخلاق وتنهي عن مساويها " (١٥) ٠

ثالثا : للشعر وظيفة إبداعية : فقد أعجب الرسول صلي الله عليه وسلم بالشعر ، ووصفه صلى الله عليه وسلم في حديثه السابق بأنه سحره ، ويعني هذا الوصف أن الشعر مؤثر كتأثير السحر بجودته وصياغته وتراكيبه وصوره ودقة وضعه ومجاورته للواقع ٠ ويعقب ابن رشيق علي هذا الوصف قائلا : " وقد قال النبي صلي الله عليه وسلم : (إن من البيان لسحرا ، وإن من الشعر لحكما) وقيل (لحكمة) ،

فقرن البيان بالسحر فصاحة منه صلي الله عليه وسلم ، وجعل من الشعر حكما ؛ لأن السحر يخيل للإنسان ما لم يكن للطافته وحيلة صاحبه ، وكذلك البيان يتصور فيه الحق بصــورة الباطل ، والباطل بصــورة الحق ؛ لرقة معناه ولطف موقعه ، وأبلغ البيانين عند العلماء الشعر بلا مدافعة " (٢٣) ٠

ويضــع عمر بن الخطاب رضــي الله عنه بعض القواعد النقدية الســليمة المتوائمة مع التغيير الإسلامي الجديد ، حيث يعجب بشعر زهير ويري فيه دقة في الوصف ، ويصفه بأنه قاضي الشعراء في الخبر الذي يقول :

" وقيل إن عمر بن الخطاب كان يتعجب من قول زهير :

فإن الحق مقطعه ثلاثٌ أداء أو نفار أو جلاء

وسمي زهير (قاضــي الشــعراء) بهذا البيت يقول : لا يقطع الحق إلا الأداء أو النفار وهو الحكومة – أو الجلاء – وهو العذر الواضــح – ويروي يمين أو نفار وهذه الثلاث علي الحقيقة هي مقاطع الحق " (٢٤) ٠

ويشير عمر هنا إلي الصدق والدقة في الإيجاز وهي من صفات ومميزات جودة الشعر ويضيف إلي هذه الملاحظة شيئين :

الأول : جودة الشعر بالبعد عن حوشي الكلام .

الثاني : جودة الشعر بالبعد عن المعاظلة . وهي سمات أسلوبية ظهرت في النقد اللاحق حيث يقول عمر بن الخطاب في سـبب إعجابه بشـعر زهير " أخبرني عيسـي بن يزيد (بن دأب) بإسناد له عن ابن عباس قال قال لي عمر : أنشدني لأشعر شعرائكم قالت : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : زهير .قلت : وكان كذلك ! قال : كان لا يُعاظِلُ بين الكلام ، ولا يتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه " (٢٥) ٠

ويعلق ابن رشـيق علي هذا الوصـف فيقول: " لأن عمر إنما وصـفه بالحذق في صـناعته والصــدق في منطقه ؛ لأنه لا يحســن في صــناعة الشــعر أن يعطي الرجل فوق حقه في المدح " (٢٦) ٠

وهو وصف يتناول فنية القصيدة في النواحي الجمالية والأسلوبية ، وهو ما يهمنا ونترك جانبا اعتراض ابن رشـــيق علي تناقص ابن ســـلام في جمعه بين رواية عمر بن الخطاب ورواية أهل النظر (٢٧) .

وتحمل ملاحظات عمر بن الخطاب رضـي الله عنه بالبعد عن حوشـي الكلام والمعاظلة مبادئ فنية رائعة ، إذ يعني حوشـي الكلام وحوشيه " ما نفر عنه السـمع والمتكلف : ما بعد عن الطبع .... ويقال للحوشـي أيضـا حوشـي كأنه منسـوب إلي الحوش وهي بقايا إبل وبار بأرض قد غلبت عليها الجن وعمرتها ، ونفت عنها الإنس لا يطؤها إنس إلا خبلوه " (٢٨) .

ويعني البعد عن حوشي الكلام تحري السـهولة والوضـوح والبسـاطة والبعد عن المتروك والمستكره والمستهجن من الألفاظ والتراكيب والجمل .

وتعني المعاظلة في رأي اللغويين التداخل والتراكيب يقولون : تعاظلت الجرار والكلاب أي تراكبت ، ويري قدامه أن المعاظلة سـوء الاستعارة (٢٩) أي فسـاد الصورة الشـعر وهي من سمات الإبداع والأسلوب .

وفي رأي آخر فساد يلحق بالحروف وتراتبها ، كما عيب حبيبا في قوله :

كريم متي أمدحه أمدحه والوري معي ومتي ما لمته لمته وحدي

والمعاظلة هنا التكرير في " أمدحه أمدحه " مع الجمع بين الحاء والهاء في كلمة واحدة وهي معاني حروف الحلق .

ويري آخرون أن المعاظلة تركيب الشـــيء في غير موضـــعه (٢٩)...

ومما سبق تكمن المعاظلة في التراكب السيء في الأحرف والمفردات والجمل والصورة أي في الصياغة الشعرية فتبعدها عن فنبتها ، أي أن من سمات الأسلوب الشعري الجيد تمايز الحروف وبراعة التصـــوير ووضـــوح الصـــورة وهي سمات فنية رائعة تلقفها النقاد اللاحقون .

وهكذا كان الإســلام تغييرا حقيقيا في النواحي الســياســية والفكرية والأدبية والنقدية حيث أنتج هنا ملاحظات تتعلق بالصدق الفني والواقعي وسلامة الأسلوب في المفردات والتراكيب والصـورة مع وضـوحها وبعدها عن التكلف والغلو وتوافق المعاني مع الدعوة الإســلامية والأخلاقية فأصــبح للأديب بموجب ذلك سمات تتمثل في الماهية والأداة والوظيفة

وقد أضيفت هذه الملاحظات النقدية والمقاييس النقدية إلى سابقتها الجاهلية لتكون بين أيدي النقاد فيما بعد ٠

في العصر الأموي:

توزعت بيئات الأدب فى العصر الأموى إلى بيئات ثلاث هى بيئة الشام حيث الخلافة، وبيئة الحجاز وبيئة العراق، وكانت بيئة الشــعر واحدة هى جزيرة العرب فى الجاهلية والإسلام، واتسعت بفعل الفتوحات الإسلامية فى الشام والعراق ومصر وفارس فى عهد الخلفاء الراشــدين أببكر الصــديق وعمر وعثمان بن عفان وعلى بن أبطالب ؛ فقد هاجر العرب المسلمون إلى تلك البلاد المفتوحة ، وحملوا معهم شعرهم، وشاركوا به فى الحياة بألوانها المختلفة السياسية والفكرية والاجتماعية والأدبية ومن هنا اكتسبت كل بيئة طابعا خاصا .

فعلى حين تخصـصـت الحجاز موطن الخلافة في عصـر الرسـول صـلى الله عليه وسـلم والخلفاء الراشدين من بعده في لون من الغزل وهو الغزل اللاهي، قدمه نخبة من الشعراء هم عمر بن أبى ربيعة، العرجى، والأحوص، لا يقنع فيه المحب بمحبوبة واحدة، وإنما تتعدد محبوباته الغنيات الجميلات ، فالمحب شــاب فارغ متعطل جميل غنى يبحث عن الفتيات المترفات المتدللات ، يلتقى بهن فى مواطن مختلفة، وتضـرب المواعيد واللقاءات ،

ويطرب الشـــاعر فيكون الغزل والحب والغرام ؛ ويعود ذلك إلى توافر الغنى والفراغ والحضـــارة لدى طبقة ارســـتقراطية غنية بتجارتها وبما تغدقه الدولة عليها من الأموال والغنائم والرقيق البيض الجميلات والجوارى الأجنبيات ٠٠ تملأ الحياة جمالا وفتنة ولهوا بعيدا عن الأحزاب السياسية حولهم .

وتخصـــصـــت بيئة البادية بادية الحجاز في فن آخر وهو الغزل العذرى نقيض الغزل اللاهى، على يد عدد من الشـــعراء ذى المحبوبة الواحدة وهم: قيس بن الملوح وليلى، وقيس بن ذريح ولبنى، وجميل بثينة، وكثير عزة، والصـــمة القشـــيرى وريا، وذو الرمة ومى.....

والمحب فى هذا اللون من الحب شـــاب فقير جاد يتعلق بحب فتاة واحدة جادة فقيرة عفيفة طاهرة ، ويجمع الحب بينهما غير أن تقاليد القبيلة وعاداتها تأبى لهذه القصـــة والعلاقة الغرامية أن تصـــل إلى الزواج ؛ فيفرقون بين المحب ومحبوبته ، بل قد يبيحون قتله ويزوجون المحبوبة لشـخص آخر، وهنا تبدأ مأسـاة المحب، فلا يتزوج غيرها ، ويظل وفيا لحبها حتى يموت بذكرها في شعره بكل عفة وطهر .

ويعود ذلك اللون من الحب والشـــعر إلى توافر الفقر والعزلة وقســـوة التقاليد القبلية ، فبيئة البادية معزولة عن بيئة الحجاز ، لا تغدق عليها الدولة الأموال ولا الجوارى ، فلا أثر لها في الحياة الســـياســـية ، ولا أثر لحياة اللهو في البادية حيث تحرم الخمر وبيوت الغناء ذات الجوارى والميسر ، واقتصار الحياة على الشظف والرعى والتقاليد القديمة ، والبعد عن النشاط السياسى فى الشام والعراق .

وتخصـصـت بيئة العراق في لونين من الشـعر هما : الشـعر السـياسـى وشـعر النقائض ، والشعر السياسى هو الشعر الذى يعارض فيه سياسيا الشعراء الحكم الأموي فى ظل عدد من الأحزاب السـياسـية المختلفة المعارضـة للخلافة مثل حزب الشـيعة المتشـيع لعلى بن أبى طالب وآل البيت النبوى ومطالبتهم بأحقيتهم بالخلافة،

وحزب الخوارج الذى خرج على على بن أبى طالب يوم التحكيم، وهم يطالبون أن تكون الخلافة فى أى مسلم حرا أم عبدا بناء على الشورى وحزب الزبيريين أتباع عبدالله بن الزبير فى الحجاز والمطالب بأحقية عبدالله بن الزبير فى الخلافة وكان الشعر معبرا عن الأحزاب السياسية. وشعر النقائض الذى انتشر فى الحجاز لتعدد طبقات المجتمع فى البصرة والكوفة وعصبيات القبائل المختلفة، وتشجيع الدولة لهذا الشعر .

وشارك فى الشعر السياسى عن الزبيريين: مصعب بن عمير، وعن الشيعة الكميث بن يزيد، وعبدالله بن قيس الرقيات، وعمران بن حطان عن الخوارج وشارك فى شعر النقائض شعراء: جرير والفرزدق والأخطل .

وتخصصت بيئة الشام فى شعر المدح باعتبارها مركز الخلافة الإسلامية ، ويتوافد عليها الشعراء للرزق والتكسب بالمدح، وكان الخلفاء يقدرون المدح ويجزلون العطاء ومنهم: جرير والفرزدق والأخطل (٣٠) .

وتابع النقد الأدبى هذا التنوع فى البيئات وهذا التنوع فى ألوان الشعر: اللاهى والعذرى والسياسى والنقائض والمدح وغيرها يقيسه بما شاع فى كل بيئة من تقاليد وعادات وطباع ومشاعر،يقيس الغزل بالمقياس الدينى والعادات والتقاليد والمشاعر الصادقة ، ويقيس المدح بالمبالغات والإجادة فى الوصف، ويقيس الشعر السياسى بالمبادئ الحزبية والأفكار، ويقيس شعر النقائض بقدرته على الإصابة واستدرار أكبر رضى عند العامة والمستمعين له فى أسواق البصرة والكوفة .

وشارك فى هذا النقد الخلفاء والأمراء والشعراء والبعض ممن توافرت فيهم صفات النقاد من الموهبة والفطنة والثقافة العامة والخاصة بالشعر ولغته وموضوعه ووزنه وبلاغته ، وما يتعلق به من أخبار ووقائع عربية والدربة بنقد الشعر وتمييز جيده من خبيثه ، وكان لتعدد مجالس الأدب أثرها فى تنمية حركة النقد فى القصور وبيوت الأمراء (٣١) ٠

وتنوعت الملاحظات النقدية على كل فن أو لون من الشعر الخاص بكل بيئة : الغزل العذرى، الغزل اللاهى، المدح، الهجاء، الشعر السياسى .

فمن الملاحظات التى وجهت إلى فن الغزل اللاهى غضب المتلقين منه وشكوتهم عند أولياء الأمر وعقاب المتغزلين ؛ فقد حكم سليمان بن عبد الملك على الأحوص بالسجن ، ومكث فى سجنه حتى عفى عنه فى خلافة يزيد بن عبد الملك ، فبقى بذلك مسجونا فى فترة حكم سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك . كما ورد فى الخبر الذى يورده ابن سلام فى طبقاته:" .....كان الأحوص الشاعر يشبب بنساء أهل المدينة، فتأذوا به، وكان معبد وغيره من المغنيين يغنون فى شعره، فشكا قومه، فبلغ ذلك سليمان بن عبد الملك: فكتب إلى عامله بالمدينة أن يضربه مائة سوط، ويقيمه فى البلس للناس، ويسيره إلى دهلك ففعل به، فثوى بها سلطان سليمان، وعمر بن عبد العزيز

ثم استخلف يزيد بن عبد الملك..... فأمر بالكتاب بتخلية سبيله ، وأمر له باربعمائة دينار (٣٢) .

ويعنى هذا رفض أهل المدينة وأولى الأمر للغزل اللاهى ، لما فيه من مخالفة للأداب الإسلامية والأعراف والتقاليد الاجتماعية ، ويعد هذا حكما على الشعر من ناحية وظيفته الأخلاقية .

ومن ذلك أيضا نعت عبد الملك بن مروان عمر بن أبى ربيعة عندما لقيه بالمدينه فى موسم الحج بالفاسق كما جاء فى الخبر " ...لما حج عبد الملك بن مروان لقيه عمر بن أبي ربيعة بالمدينة ، فقال له عبد الملك بن مروان : لا حياك الله يا فاسق. قال له: بئست تحية ابن العم لابن عمه على طول الشحط.

فقال له: يا فاسق. ذاك لأنك أطول قريش صبوة، وأبطؤها توبة ألست القائل :

ولولا أن تعنفنى قريش مقال الناصح الأدنى الشفيق

لقلتُ إذا التقينا قبلينى ولو كُنَّا على ظهر الطريق (٣٣)

كما أخرج سليمان بن عبد الملك عمر بن أبى ربيعة إلى الطائف ومنعه من الحج مع الناس حتى يقضي الناس حجهم (٣٤) .

ومن الملاحظات خروج الغزل اللاهى عن طبيعة الغزل فى الجاهلية والاسلام وتحول الشاعر من الغزل فى محبوبته الى شكوى الهجر والغزل فى نفسه كما لاحظ ذلك المفضل بن سلمه فى خبر أورده المرزبانى فى موشحه في قوله : " حدثنى على بن هارون، قال: انشدنى المفضل بن سلمه لعمر بن أبى ربيعة :

عاود القلب بعض ما قد شجاه من حبيب أمسى هواه هواه

ما ضرارى نفسى بهجره من لي س مسيئا ولا بعيدا نواه

واجتنابى بيت الحبيب وما ال خلد بأشهى إلى من أن أراه

قال: وكان المفضل يضع من شعر عمر فى الغزل، ويقول إنه لم يرق كما رق الشعراء؛ لأنه ما شكا قط من حبيب هجرا، ولا تألم لصد؛ وأكثر أوصافه لنفسه وتشبيه بها، وأن أحبابه يجدون به أكثر مما يجد بهم، ويتحسرون عليه أكثر مما يتحسر عليهم؛ ألا تراه فى هذا الشعر– وهو من أرق أشعاره قد ابتدأه بذكر حبيب هواه هواه، ووصف أنه هو هجره من غير إساءة، واجتنب بيته مع قربه، وفى غير ذلك يقول:

.... وقد عرفناه وهل يخفى القمر " (٣٥)

وكذلك اتهامه بالكذب (٣٥) ٠

ويعنى ذلك أن الغزل اللاهى قوبل بالرفض من النقاد والمتلقين ، كما استرعى اهتمامهم خروجه على نمطية الغزل فى الشعر العربى الجاهلى والاسلامى.

كما وجه إلى هذا الشـــعر نقدا لغويا من مثل إســـقاط حرف فى كلمة تحبها وهى للاستفهام وليست للخبر فى قول عمر بن أبى ربيعة فى قوله :

حين قالوا تحبها قلتُ بهرا عدد القَطْر والحصى والتراب

وكان الأصل أن يقول أتحبها وذلك فى ملاحظة أبى عمرو بن العلاء (٣٦) .

وواجه الغزل العذرى ملاحظات مختلفة عن مســألة الرفض أو الكذب، فلم توجه إليه تهمة الكذب ، وإنما البحث عن أى الشــعر أكثر صــدقا فى حبه ، وذلك فى ملاحظة أوردها صاحب الموشح " أخبرنى أبوبكر الجرجانى، قال: حدثنى محمد بن يزيد النحوى، قال: حدثنى عبيد الله بن محمد بن حفص بن عائشـــة، قال: حدثنى أبى، قال: حدثنى رجل من بنعامر بن لؤى– ما رأيت بالحجاز أعلم منه، قال: حدثنى كثير أنه وقف على جماعة يفيضون فيه وفى جميل أيهما أصدق عشقا– ولم يكونوا يعرفونه بوجهه– ففضلوا جميلا فى عشــقه، فقلت لهم : ظلمتم كثيرا؛ كيف يكون جميل أصــدق عشــقا من كثير، وإنما أتاه عن بثينة بعض ما يكره، فقال:

رمى الله فى عينى بثينة بالقذى وفى الغر من أنيابها بالقوارح

القارح: ما يثقبها ويعيبها– وكثير أتاه عن عزة ما يكره؛ فقال:

هنيئا غير داء مخامر لعزة من أعراضنا ما استحلت

قال: فما انصرفوا إلا على تفضيلى " (٣٧) .

وعيب على الشــعراء العذريين تأثير لغة الغزل على شــعرهم فى المدح أو الوصــف فقد لاحظ النقاد اســتخدام لغة الغزل عند كثير فى المدح ؛ فقد ورد في مدح الخليفة قوله (غزا كامنات صدره) وهى عبارة غزلية ، وليست مدحا ،

وعبارة (يقلب عينى حية بمحارة) وهى عبارة غزلية أيضا فى قوله:

فإن أمير المؤمنين هو الذى غزا كامنات الصدر منى فنالها

وقوله:

ترى ابن العاص وقد صف دونه ثمانون ألفا قد توافت كمولها

يقلب عينى حية بمحارة إذا أمكنته شدة لا يقيلها (٣٨)

وهكذا قوبل الغزل العذرى من النقاد بعدم الرفض والبحث عن الأكثر صدقا، ، كما أخذ عليهم أثر الغزل على لغة شعرهم .

ومن الملاحظات التى أخذت على شعر النقائض تحديد شاعرية كل من جرير أو الفرزدق ، فقد قُدِّم الفرزدق على جرير في " حكم بعض الحكام : الفرزدق أشعر ؛ لأنه أقواهما أسْر كلام، وأجراهما فى أساليب الشعر، وأقدرهما على تطويل، وأحسنهما قطعا، فقدم بالقطع كما ترى " (٣٩) ، بينما حكم أبو نواس لجرير بالتقدم لأنه أكثر طبعا مخالفا بذلك البحترى الذى قدم الفرزدق فـ " قد خالف البحترى أبا نواس فى الحكم بين جرير والفرزدق، فقدم الفرزدق، قيل له: كيف تقدمه وجرير أشبه طبعا بك منه؟... " (٤٠) ٠

وعيب على شعراء النقائض الكذب كما عيب على جرير قوله:

إنى إذا الشاعر المغرور حَرَّبنى جار لقبر على مَرَّانَ مر موس

حيث علق رؤبة : كذب والله ، ما تميم بمران ؛ إنما هو بذات عرق ، وقبر معد بمران "(٤١) .

فقد عيب على جرير وصفه هنا لبني تميم بأنهم بمران ، وهذا غير صحيح حيث أنهم يقطنون في ذات عرق ، وذلك في قول جرير : إذا الشاعر المغرور ازداد في حربي ومضايقتي ، لجأت إلى حماية بني تميم الذين يغضبون لغضبي في مران حيث قبر تميم بن مر بن أد جدهم ، وهو قبر مسوى بالأرض ٠

ومن الكذب كذلك وصـــف جرير للفرزدق بأنه قين ، والقين هو الحداد ، ضـــمن كذبات أخرى كما ورد : " قال أبو الخطاب: فلم يهجه إلا من ثلاث جهات كاذبات، فردد ذلك وكرره فى شعره، فمن ذلك قوله:

تُحَضِّضُ يابْنُ القَين قَيْسًا ليجعلوا   لقومك يومًا مثل يَوْمِ الأراقم " (٤٢)

ومن الملاحظات على شـــعراء النقائض رفض الفحش بدافع أخلاقى ، كما عيب على الفرزدق بعض أبيات فى ذلك حيث عرَّض فيها ، وقالها فى المدينة ، فانكرت قريش ، وزعج مروان بن محمد وآل المدينة ، فأجله ثلاثة أيام ثم أخرجه منها " (٤٣) .

وتوصل النقاد إلى مقارنة بين الفرزدق وجرير ، فرأوا أن جريرا يجيد النسب ، ولا يتجاوز هجاء الفرزدق بأربعة أشـــياء: بالقين، وقتل الزبير، وبأخته جعثن، وامرأته النوار، والفرزدق يهجوه فى كل قصـــيدة بأنواع هجاء يخترعها ويبدع فيها " (٤٤) ، فجرير تقليدى فى هجائه، والفرزدق مجدد ومخترِع فى هجائه .

ويرى بعض النقاد إبداع الفرزدق ، وأنه غالب لجرير وفائز عليه ، كما يقر صـــاحب الموشـــح : "كان جرير إذا أخذ الناس غلبهم، وإذا أخذ الفرزدق جريرا غلبه الفرزدق، ومن نظر فى النقائض تبين له ذلك، وعلم أن جريرا لم يقم فيها للفرزدق " (٤٥)
.

ومن الملاحظات أيضا السرقات الشعرية كما فى رد قول الفرزدق فى مناقضة جرير:

كم من أب لي يا جرير كأنه   قمر المجرَّة أو سراجُ نهار

لن تدركوا كرمى بلؤم أبيكم   وأوابدى بتنحُّلِ الأشعار

فقد ردهما النقاد إلى الراعى ، وأن الفرزدق انتحلهما وصارا له (٤٦) .

ومن الملاحظات التى أخذت على شـعر المدح مآخذ لغوية مثل رفع حرف الراوى الراء فى كلمة رير وحقها الجر فى قوله الفرزدق فى مدح يزيد بن عبدالملك :

مستقبلين شمال الشام تضربنا   بحاصب كنديف القطن منثور

على عمائمنا تُلْقَى وأرجلنا   على حَراجِف تُزْجَى مخها رير (٤٧)

ومن الملاحظات على شعر المدح ملاحظات فنية تتمثل في استغلاق المعنى وغموضه واضطراب التراكيب كما فى قول الفرزدق:

ضربت عليك العنكبوت بنسجها　　وقضى عليك به الكتاب المنزل

ويعد هذا عند النقاد من قبيل " ...المعنى المستغلق، واللفظ المستكره...(٤٨)
ومن ذلك اضطراب ترتيب البيت فى قول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مملكا　　أبو أمه حي أبوه يقاربه

حيث وقع فى هذا البيت تقديم وتأخير أفسد البيت وكان معناه "وما مثله فى الناس حى يقاربه إلا مملك أبو أم هذا المملك أبو هذا الممدوح ، فدل على أنه خاله بهذا اللفظ البعيد، وهجنه بما أوقع من التقديم والتأخير، حتى كأن هذا الشعر لم يجتمع في صدر رجل " (٤٩) ، ويعد هذا البيت من شواهد البلاغة فى فصاحة الكلام في خلوه من التعقيد اللفظى واختلال نظم الكلام (٥٠) .

وهكذا تعددت الملاحظات النقدية في العصر الأموي ، تعالج فنون الشعر العربي فى الهجاء والغزل والمدح ممثلة للبيئات الأربع : الحجاز فى غزله اللاهى ، وبادية الحجاز فى الغزل العذري ، والعراق فى النقائض ، والشام فى المدح ، وتنوعت الملاحظات لتشمل اللغة والمعانى والمبالغات والكذب وأيهما أكثر شاعرية وصدقا مما يتناول القصيدة بشكل أدق ، وأضيفت هذه الملاحظات النقية إلى سابقتها الجاهلية والإسلامية لتكون تحت أيدي النقاد العرب ؛ ليشكلوا منها قواعد منهجية للنقد الأدبي العربي ٠

وقد شكلت كل هذه الملاحظات فى العصور الجاهلية والاسلامية والأموية جماع ما أخرجته قرائح النقاد فيما يتعلق بالقصيدة من نواح لغوية ومعنوية وجمالية واجتماعية، وكونت نقدا متكاملا فى عصر الرواية .

الذى شــكل قاعدة أســاســية انطلق منها نقاد كالآمدى والقاضــى الجرجانى والمرزوقي وغيرهم فى تناولهم لأشعار البحترى وأبى تمام والمتنبى ، بل استنتجت من هذه الملاحظات قواعد بلاغية نراها عند العسكرى، وعبد القاهر الجرجانى والزمخشـرى وتلخصت عند السكاكى والقزوينى .

نجد ذلك في موازنة الآمدي بين أبي تمام والبحتري ، فقد ارتضــي الآمدي طريقة الموازنة بين أبي تمام والبحتري للحكم والفصــل بين شــاعريتهما بينما كثر الجدل حولهما ، وكثر المؤيدون لكلا منهما ، وحدد هذه الطريقة في الموازنة بينهما من خلال الموازنة بين قصــــيدتين أو مقطوعتين من شــــعرهما متفقتان في الوزن والقافية تماما كما فعلت أم جندب امراة امرئ القيس في موازنتها بين امرئ القيس وبين علقمة بين عبدة (علقمة الفحل) عندما طلبت منهما أن يأتيا بقصــيدتين متفقتين في الوزن والقافية والمعنى حتى تستطيع أن توازن بين شاعريتهما (٥١) .

ولذلك يحدد الآمدي ميزات كل من أبي تمام والبحتري ، ويحدد طريقته في الموازنة دون التدخل بالحكم بينهما ، وانه يترك ذلك للقارئ :

" ولست أحب أن أطلق القول بأيهما أشعر عندي ؟ لتباين الناس في العلم ، واختلاف مذاهبهم في الشعر ، ولا أرى أن يفعل ذل فيستهدف لذم الفريقين ...

فإن كنت – أدام الله سلامتك – ممن يفضل سهل الكلام وقريبه ، ويؤثر صحة السبك ، وحسن العبارة ، وحلو اللفظ ، وكثرة الماء والرونق ؛ فالبحتري أشعر عندك ضرورة . وإن كنت تميل إلى الصــنعة ، والمعاني الغامضــة التي تســتخرج بالغوص والفكرة ، ولا تلوي على ما سوى ذلك ؛ فأبو تمام عندك أشعر لا محالة .

فأما أنا فلست أفصح بتفضيل أحدهما على الآخر ، ولكني أوازن بين قصيدة وقصيدة من شعرهما إذا اتفقتا في الوزن والقافية وإعراب القافية ، وبين معنى ومعنى ، ثم أقول : أيهما أشعر في تلك القصيدة ، وفي ذلك المعنى ؟ ثم احكم أنت حينئذ (إن شئت) على جملة ما لكل واحد منهما إذا أحطت علما بالجيد والردئ ٠ " (٥٢) ٠

غير أن مناط الحكم عنده هو اتفاق الشاعر مع ما توارد عند العرب من قوانين نقدية ظهرت من خلال النماذج الجيدة من شعرهم ومن خلال ملاحظاتهم النقدية والتي تشير إلى مفهوم خاص عن الإجادة والشاعرية في الشعر ، وقد حددها الآمدي في حسن الاختار على مستويات : المفردات ودقة تعبيرها ومناسبتها للمعاني ، وحسن اختيار الصور الخيالية ومناسبتها لبيئتها ومتلقيها ، والتراكيب اللغوية الواضحة والبعيدة عن التعقيد في قوله : " وليس الشعر عند أهل العلم به إلا حسن التأتي ، وقرب المأخذ ، واختيار الكلام ، ووضع الألفاظ في مواضعها ، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل في مثله ، وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له وغير منافرة لمعناه ، فإن الكلام لا يكتسي البهاء والرونق إلا إذا كان بهذا الوصف ، وتلك طريقة البحتري " (٥٣) ٠

ويطلق الآمدي على هذه المقاييس طريقة العرب وسننهم ، ويجعلها وسيلة الحكم بينهما قائلا : " .....وإذا اعتمد الشاعر الإبداع فمن سبيله ألا يخرج على سنن القوم ...." (٥٤) ٠وفي ذلك يرى أحد الباحثين أن الآمدي "كان يؤثر طريقة البحتري ويميل إليها ، ومن أجل ذلك جعلها (عمود الشعر) ونسبها إلى الأوائل وصرح بأنه من هذا الفريق دون مواربة ... " (٥٥)٠

ومن هنا ففي مازنته بين المعاني عند كل منهما يلجأ إلى يغليب طريقة العرب ،
ففي موازنته بين أبي تمام والبحترى " فى الابتداءات بذكر الوقوف على الديار" (٥٦)

يستمد صحة وبراعة كل من أبي تمام والبحترى فى احتذاء القدماء والسير على منوالهم وإجادة ما اتفق على إجادته عندهم فى عدد من النقاط:

يوافق الآمدى أبي تمام فى ابتدائه:

قف بالطُّلُول الدارسات عُلاثَا أضحت حبال قَطِينهِنَّ رِثَاثَا

ويرى أن هذا الابتداء صالح وموافق تماما لابتداءات السابقين (٥٧) .

بل يؤيد موافقته بالموافقة للقدماء كما في تعقيبه على أبي تمام وأن بيته هذا ربما احتذاه من قول الأصم الباهلي في قوله :

ليس الوقوف يكف شوقك فانزل وابلُلْ غليلك بالمدامع يُبْلَل

ويرى الآمدى أن هذا المعنى ظريف، وقد جاء مثله فى الشعر، من قول الأصم الباهلى واسمه عبدالله بن الحجاج ولا أعرف غيره، وأظن أن أبا تمام عثريه واحتذى عليه، لأنه كان مولعا بغرائب الألفاظ والمعانى:

أتنزلُ اليوم بالأطلال أم تقفُ لا بل قف العيس حتى يمضى السَّلف

ويعلل الآمدي بقوله : وإنما قال ذلك لأن الوقوف على الديار إنما هو وقوف المطى ، ولا يكادون يذكرون نزولا (٥٨) ٠

و يعترض الآمدى على قول البحترى:

قف العيس قد أدنى خطاها كلالها وسل دار سعدى إن شفاك سؤالها

ويرى الآمدى أن الألفاظ متناسبة حسنة، غير أن المعنى ليس جيدا وذلك لأن البحترى لا يبين بعد ديار سعدى وشوقه إليها وأن سؤالها يشفى من المرض ،وإنما ظاهر معناه أنه يبين أن ديارها قريبة (قد أدنى خطاها كلالها) وأن سؤالها قد يشفى باستعمال الشرط (إن شفاك سؤالها) ، في قوله : " وهذا لفظ ، ومعنى ليس بالجيد ؛ لأنه قال ؛ لأنه : (قد أدنى خطاها كلالها) أي قارب من خطوها الكلال ، وهذا كأنه لم يقف لسؤال الديار التي تعرض لأن يشفيه ، وإنما وقف لإعياء المطي " (٥٩)

ويرى الآمدى أن المعنى قد أجاده وأحسن فيه ذو الرمة فى قوله:

أنختُ بها الوجناءَ لا منْ سآمةٍ   لثِنْتَيْن بين جاء وذاهب (٥٩)

وهكذا تتمثل القاعدة النقدية عند الآمدى فى احتذاء القدماء وتقليدهم ، وأن الرجلين أبا تمام والبحترى قد التزما بها وإن أخل بعضهما (البحترى) فى بعض المواضع ببعضها حيث يقول " وهذه طريقة القوم فى الوقوف على الديار، ولهم فيها من الأشعار ما هو أشهر وأكثر من احتاج إلى ذكره وتلك سبيل سائر المحدثين، وطريقة الطائيين: ما عدلا عنهما، ولا خرجا إلى غيرها " (٦٠) .

ولم يبعد القاضي الجرجاني كثيرا عما فعله الآمدى بالاعتماد على نماذج الحسن فى عصر الرواية ، فأساس المفاضلة والموازنة هو نفسه ما فعله القاضى الجرجانى فى وساطته بين المتنبى وخصومه وذلك بالاعتماد على نماذج الحسن فى عصر الرواية ، وإن اختلفت طريقة المعالجة ، والتمست طريقة الوساطة بدلا من الموازنة .

فقد وجد أن النقاد حول المتنبي قد انقسموا على نوعين : مؤيد له معجب به ، وعائب عليه " وما زلت أرى أهل العلم ..في أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي فئتين : من مطنب في تقريظه ، منقطع إليه بجملته ، منحط في هواه بلسانه وقلبه ، يلتقي مناقبه إذا ذكرت بالتعظيم ، ويشيع محاسنه إذا حكيت بالتفخيم ...وعائب يروم إزالته عن رتبته ، فلم يسلم له فضله ، ويحاول حطه عن منزلة بوأه إياها أدبه ؛ فهو يجتهد في إخفاء فضائله ، وإظهار معايبه ، وتتبع سقطاته ، وإذاعة غفلاته .

وكلا الفريقين إما ظالم له أو للادب فيه ؛ " (٦١) .

وابتدع الجرجاني طريقة جديدة للتوسط بينهما تقوم على التقريب بين شعر المتنبي والقدماء ، واعتبار ذلك رخصة سائغة للجودة بدلا من الرفض ، والتغاضي عن الهفوات ، ويسمي هذا المبدأ (المقايسه) عند أحد الباحثين(٦٢)
، ويوضحه الجرجاني في قوله : ..... وكما أن الانتصار جانب من العدل لا يسده الاعتذار ؛ فكذلك الاعتذار جانب هو أولى به من الانتصار ، ومن لا يفرق بينهما وقفت به الملامة بين تفريط المقصر ، وإسراف المفرط ؛ وقد جعل الله لكل شئ قدرا ، وأقام بين كل حديث فصلا ؛ وليس يطالب في طبع البشر،
ولا يلتمس عند الآدمي إلا ما كان في طبيعة ولد آدم ؛ وإذا كانت الخلقة مبنية على السهو وممزوجة بالنسيان ، فاستسقاط من عز حاله حيف ، والتحامل على من وُجِّه إليه ظالم ٠
وللفضل آثار ظاهرة ، وللتقدم شواهد صادقة ، فمتى وجدت تلك الآثار ، وشوهدت هذه الشواهد فصاحبها فاضل متقدم ؛ فإن عثر له من بعد على زلة ، ووحدت له بعقب الإحسان هفوة انتحل له عذر صادق ، أو رخصة سائغة ؛ فإن أعوز قيل : زلة عالم ، وقل من خلا منها ، وأي الرجال المهذب ٠ ولولا هذه الحكومة لبطل التفاضل " (٦٣) ٠

وفي إطار هذا النهج يحاول الجرجانى أن يتوسط بين أنصار المتنبى وخصومه في موضوع : (الإفراط في الاستعارة) (٦٤) ، فى اعتراض الخصوم على بعض الاستعارات خاصة الاستعارات المكنية التى تنسب إلى الجمادات صفات الآدميين ، أوتصف الدهر بصفات الأدميين أو تسبه ، وهي استعارات– فى رأى خصومه– لم تجر من قريب أو بعيد على سنن العرب ولا نماذجهم وبالتالى ،

فلم ترد فى عصر الرواية، والجرجانى يدافع من حيث انتهى الخصوم حيث يثبت تماما أن نماذج المتنبى لها نظائر فى الشعر العربى القديم فى عصر الرواية فى المواضع التالية :

* يرد قول المتنبى :

مسرة فى قلوب الطيب مفرقها   وحسرة فى قلوب البيض واليلب

في جعله للطيب والبيض واليلب قلوبا وللزمان فؤادا ٠٠٠ إلى قول ابن أحمر قبله:

ولهت عليه كل معصفة   هوجاء ليس للُبِّها زبر

فالشاعر جعل للريح (زبر) قوة رأى ولبا (٦٥) .

* رد قول المتنبى فى ذم الدهر إلى نظائر فى شعر أبى رميلة :

هم ساعد الدهر الذى تبقى به   وما خير فى كف لا تنوء بساعد

وقول الكميث :

ولما رأيت الدهر يقلب ظهره   على بطنه فعل الممعك بالرمل (٦٦)

إن الجرجانى يعتمد فى الدفاع عن المتنبى نفس حجة الآمدى وهى العودة إلى نماذج الشعر القديمة وطريقة القدماء فى عصر الرواية فى قوله:

" وهذه أمور متى حملت على التحقيق، وطلب فيها محض التقويم أخرجت عن طريقة الشعر، ومتى اتبع فيها الرفض، وأجريت على المسامحة، أدت إلى فساد اللغة، واختلاط الكلام . وإنما القصد فيها التوسط والاحتذاء بما قرب وعرف . والاقتصار على ما ظهر ووضح ." (٦٧) ٠

غير أن الجرجانى يزيد على الآمدي في فكرة واحدة يلتزم بها وهى التوسط والاعتماد على ما يعرف ويقرب وذلك لأنه يريد الدفاع عن المتنبى ....

من هذا العرض يمكن القول إن النقد الأدبى عند العرب قد تكون فى عصـر الرواية أى فى العصر الجاهلى وصدر الاسلام والعصر الأموى من ناحيتين:

١- قبول نماذج معينة واعتبارها حسـنة جيدة أو مرور بعض النماذج دون تعليق أو رفض مما يعنى موافقة الذوق العام عليها فى فنون الشـعر المختلفة : الوقوف على الأطلال وبكاء الديار وسؤالها وذكر الظعن والرحلة ووصف الحيوان والديار والصحراء والمدح والوصف والهجاء والحكمة وغيرها من فنون الشعر المختلفة وموضوعاته .

٢- صـدور ملاحظات نقدية ترفض أو تعدل بعض النماذج التى لا توافق الرأى العام أو المجتمع أو تخرج عن القيم الجاهلية أو تخالف القيم الاسـلامية التى جاء بها الاسـلام كالكذب والمبالغة والخروج على القواعد الشـرعية بالحديث الفاحش أو المشـابه له ، أولا يوافق الذوق العام وما اسـتقرت عليه القصـيدة فى فنون الشـعر المختلفة الغزل والهجاء والرثاء والمدح وغيرها .

وانطلاقا من هذا الاسـتقرار لقواعد بعينها فى فنون القول الشـعرى المختلفة صـدرت المحاولات النقدية فى عصـر التدوين وذلك من مثل تحليلات الآمدى فى موازنته بين كل من أبى تمام والبحترى ، فهو يعتمد فى هذه الموازنة على ما اسـتقر من تقاليد فنية فى القصـيدة العربية فى فنون الشـعر المختلفة من نماذج مقبولة أو ملاحظات على نماذج مخالفة لما استقر عليه النقاد فى عصر الرواية . وكذلك من مثل تحليلات الجرجانى لشعر المتنبى والتوسـط بينه وبين خصـومه فى وسـاطته وذلك أيضـا بالدفاع عنه من خلال الاسـتدلال بالنماذج المقبولة فى تراثنا العربى . مما يمكن معه القول إن عصـر الرواية قد شكل بطريقة جيدة وعلى مدار فترة زمنية تمتد زهاء قرنى الجاهلية وقرنى الإسلام الأولين الأسس المنهجية لنقاد عصر التدوين فيما بعد .

هوامش الفصل الثاني :

١- علي الجندي : في تاريخ الأدب الجاهلي ٠القاهرة دار المعارف ١٩٨٥م ط٢ ص ١١٢-١١٤

٢- كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي . ج١ ص٦٥

٣- في تاريخ الأدب الجاهلي ص١١٨-١١٩

٤- عبد العزيز نبوي : دراسات في الأدب الجاهلي ٠القاهرة الصدر لخدمات الطباعة (سيسكو)١٩٨٨م ط٢ ص٦٨

٥- المرزباني : أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسي المرزباني (٣٨٤ هـ) : الموشح في مآخذ العلماء علي الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر ٠تحقيق علي محمد البجاوي . القاهرة . نهضة مصر د.ت . ص ٢٣-٢٥

٦- الموشح ص ٤٨ – ٤٩

٧- القزويني : الخطيب القزويني ت٧٣٩ه :التلخيص تعليق محمد عبد المنعم خفاجي القاهرة ١٩٤١م ص ١٢٠- ١٢١

٨- الموشح ص٩٦

٩- طبقات فحول الشعراء ج١ ص٣٩

١٠- النقد الأدبي عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري : محمود طاهر درويش ص٧٧

١١- تخريج الحديث : الترمذي الكتاب ٤١الباب ٦٩، سنن ابن ماجه الكتاب ٣٣ الباب ٤١، سنن الدارمي الكتاب ١٩ الباب ٩٠، مسند أحمد بن حنبل الكتاب الأول ص ٢٦٩/٣٠٣/٣٠٩/٣١٣/٣٢٧/٢٣٢الكتاب الثالث ص٤٥٦الكتاب الخامس ص١٢٥، مسند الطيالسي الحديث ٥٥٦/٥٥٧/٢٦٧٠

١٢- أبو زيد القرشي (ت) : جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام تحقيق علي محمد البجاوى القاهرة نهضة مصر د ت ص٣٥

١٣- محمد عبد المطلب : جدية الإفراد والتجلي في النقد العربي القديم . القاهرة مكتبة الحرية ١٩٨٤ ص ٢٨

١٤- جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ص ٣٥

١٥- ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد بيروت دار الجيل ١٩٨١ ط ح١ ص ٢٨

١٦- طبقات فحول الشعراء ح١ ص ٢٥٣-٢٥٥ .

١٧- جمهرة أشعار العرب ص ٣٨

١٨- طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ٦٣

١٩- تخريج الحديث : البخاري الكتاب ٧٨ الباب ٥١ قا ، الموطأ الكتاب ٥٦ الحديث ١٥-١٧قا ، مسند أحمد بن حنبل الكتاب الثاني ص ١٠٥/٦٩ قا السادس ص ٤٣٨

٢٠- طبقات فحول الشعراء ح ١ ص ١٨٧ - ١٨٨

٢١- العمدة ح ١ ص ٧٦

٢٢- جمهرة أشعار العرب ص ٤١

٢٣- العمدة ج١ ص٢٧

٢٤- العمدة ج ١ ص ٥٥ - ٥٦

٢٥- طبقات فحول الشعراء ح ١ ص ٦٣

٢٦- العمدة ح ١ ص ٩٨

٢٧- انظر العمدة ح ١ صفحات ٩٨ - ١٠٠

٢٨- العمدة ح ٢ ص ٢٦٥

٢٩- العمدة ح٢ ص ٢٦٤ – ٢٦٥ وانظر : اتجاهات النقد الأدبي في الجاهلية إلي نهاية القرن الرابع الهجري : منصور عبد الرحمن ص ٦٠ – ٦٢

٣٠- يوسف خليف : تاريخ الشعر العربى فى العصر الإسلامى القاهرة دار الثقافة ١٩٧٦م ص٥١-٦٢ وما بعدها بايجاز .

٣١- انظر : النقد الأدبى عند العرب ص٩٤-٩٥

٣٢- طبقات فحول الشعراء ح٢ ص٦٥٧-٦٥٨

٣٣- الموشح ص ٢٦٠

٣٤- نفسه ص ٢٦١

٣٥- الموشح ص٢٦٢

٣٦- الموشح ص٢٥٨

٣٧- الموشح ص٢٥٦-٢٥٧

٣٨- طبقات فحول الشعراء ح٢ ص٥٤٧-٥٤٨

٣٩- العمدة ح١ ص١٨٦

٤٠- العمدة ح٢ ص١٠٤

٤١- الموشح ص١٥٩

٤٢- الموشح ص١٦٢

٤٣- الموشح ص١٥١

٤٤- الموشح ص١٦٥

٤٥- الموشح ص١٦١

٤٦- الموشح ص١٤٥

٤٧- الموشح ص١٣٤

٤٨- الموشح ص١٣٦

٤٩- الموشح ص١٣٧

٥٠- الإيضاح في علوم البلاغة ح١ ص٣١

٥١- هذا الكتاب ص٧١-٧٢

٥٢- الموازنة ح١ ص ٥-٦

٥٣- الموازنة ج١ ٤٢٣

٥٤- الموازنة ج١ص٥٢٣

٥٥- تاريخ النقد الأدبي عند العرب : إحسان عباس ص١٦٢

٥٦- الموازنة ح١ ص٤٣٠-٤٤٠

٥٧- الموازنة ح١ ص٤٣٠

٥٨- الموازنة ح١ ص ٤٣١

٥٩- الموازنة ح١ ص ٤٣٣

٦٠- الموازنة ح١ ص ٤٣٥

٦١- الوساطة ص ٣

٦٢- تاريخ النقد الأدبي عند العرب : إحسان عباس ص ٣١٧

٦٣- الوساطة ص٣-٤٧

٦٤- الوساطة ٤٢٩-٤٣٣

٦٥- الوساطة ص ٤٢٣

٦٦- الوساطة ص ٤٢٩- ٤٣٠

٦٧- الوساطة ص ٤٣٣

المصادر والمراجع

أولا :المصادر :

١- الآمدي : أبو القسم بن بشر الآمدي(ت٠ ٣٧هـ) :الموازنة بين أبي تمام والبحتري تحقيق السيد أحمد صقر . القاهرة دار المعارف ١٩٩٢م

٢- ابن الاثير : المثل الثائر في أدب الكاتب والشاعر .تحقيق أحمد الحوفي ،بدوي طبانة .القاهرة نهضة مصر ١٩٥٩م

٣- ابن خلدون :المقدمة بيروت المطبعة الأدبية ١٨٧٩م

٤- ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ) : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد – بيروت – دار الجيل ١٩٨١م .

٥- السكاكي : أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي .(ت ٦٢٦هـ): مفتاح العلوم ٠ تحقيق نعيم زرزور ٠ بيروت دار الكتب العلمية ١٩٨٣ م

٦- ابن سلام الجمحي ٢٣١هـ : طبقات فحول الشعراء – تحقيق محمود محمد شاكر – القاهرة – مطبعة المدني ١٩٧٤م

٧- ابن طباطبا : عيار الشعر – تحقيق عباس عبد الستار – بيروت – دار الكتب العلمية . د٠ت

٨- عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧٤هـ)- دلائل الإعجاز – تحقيق محمود محمد شاكر – القاهرة – مكتبة النجانجي .

٩- العسكري أبو هلال العسكري ت٣٩٥هـ :كتاب الصناعتين الكتابة والشعر – تحقيق وضبط مفيد قميحة . بيروت – دار الكتب العلمية ١٩٨١م ط أولى

١٠- ابن فارس : أبي الحسين أحمد بن فارس بن ذكريا (ت٣٩٥هـ) : معجم مقاييس اللغة ٠تحقيق وضبط : عبد السلام محمد هارون . بيروت دار الجيل ١٩٩١م ط أولى

١١- الفيروزآبادي : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي : القاموس المحيط – القاهرة – مصطفي البابي الحلبي ١٩٥٢ ط٢ ج٤

١٢- القاضي الجرجاني : علي بن عبد العزيز الجرجاني ٣٦٦هـ . الوساطة بين المتنبي وخصومه – تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي – القاهرة عيسى الحلبي . دت

١٣- قدامة بن جعفر ٣٣٧هـ :- نقد الشعر تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي – القاهرة – مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧١م

١٤- القرشي :أبو زيد القرشي (ت) : جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام تحقيق علي محمد البجاوى القاهرة نهضة مصر د ت ص ٣٥

١٥- القزويني : الخطيب القزويني ت٧٣٩هـ :

١-الإيضاح في علوم البلاغة . تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي – القاهرة مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٨٤ ٥ مجلدات

٢-التلخيص تعليق محمد عبد المنعم خفاجي القاهرة ١٩٤١م

١٦- القرشي : أبو زيد القرشي ت : جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام – تحقيق على محمد البجاوي – القاهر – نهضة مصر .دت

١٧- المرزباني: أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني ت٣٤٨هـ : الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر تحقيق :علي محمد البجاوي .القاهرة نهضة مصر د.ت

١٨- ابن منظور :لسان العرب تحقيق لجنة من دار المعارف القاهرة دار المعارف د.ت

١٩- ابن هشام : أبي محمد عبد اا‌لملك بن هشام المعافري :السيرة النبوية تقديم وتعليق وضبط :طه عبد الرؤوف سعد . القاهرة مكتبة الكليات الأزهرية د.ت

ثانيا: المراجع :

١- إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر القاهرة الأنجلو المصرية ١٩٧٢

٢- إبراهيم فتحي : معجم المصطلحات الأدبية ٠القاهرة دار شرقيات ٢٠٠٠م ط أولى

٣- إحسان عباس :تاريخ النقد الأدبي عند العرب بيروت دار الثقافة ١٩٧٨م

٤- أحمد السعدني : نظرية الأدب : الجزء الأول : مقدمة في نظرية الفن ٠ أسيوط مكتبة الطليعة ١٩٧٩م

٥- أحمد الشايب: أصول النقد الأدبي .القاهرة مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٣

٦- جابر عصفور :نظريات معاصرة .القاهرة الهيئة المصرية العامةللكتاب ١٩٩٩

٧- جبور عبد النور :المعجم الأدبي : يروت دار العلم للملايين ١٩٨٤

٨- زكي مبارك :المدائح النبوية في الأدب العربي .بيروت المكتبة العصية ١٩٣٥م

٩- سمير سعيد حجازي : المناهج المعاصرة لدراسة الأدب .القاهرة د .ت

١٠- شوقي ضيف :

١-العصر الجاهلي .القاهرة دار المعارف ١٩٨١م

٢-البحث الأدبي القاهرة دار المعارف ١٩٨٣م

١١- صلاح فضل :مناهج النقد المعاصر القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧م

١٢- عبد السلام الشاذلي : الأسس النظرية في مناهج البحث الأدبي العربي الحديث : بيروت دار الحداثة ١٩٨٩م ط أولى

١٣- عبد العزيز نبوي :دراسات في الأدب الجاهلي .القاهرة الصدر لخدمات الطباعة (سيسكو) ١٩٨٨م

١٤- عبد المنعم تليمة : مقدمة في نظرية الأدب ٠القاهرة دار الثقافة ١٩٧٦م

١٥- عدنان عبيد العلي : منهجية تاريخ الأدب بين الأصـــالة والتجديد .مجلة البيان الكويتية عدد ٢٣٣ أغسطس ١٩٨٥ذو القعدة ١٤,٥ هـ

١٦- على الجندي :في تاريخ الأدب الجاهلي .القاهرة دار المعارف ١٩٨٥م

١٧- كارل بروكلمان :تاريخ الأدب العربي .نقله إلى العربية عبد الحليم النجار .القاهرة دار المعارف١٩٧٧م

١٨- لانســـون ومابيه : منهج البحث في الأدب واللغة ترجمة محمد مندور .ملحق بكتاب النقد المنهجي عند العرب .محمد مندور .القاهرة نهضة مصر د.ت .

١٩- مجدي وهبة :

١- معجم مصطلحات الأدب .بيروت مكتبة لبنان ١٩٧٤ م

٢-معجم المصطلحات العرية في اللغة والأدب .بيروت مكتبة لبنان ١٩٨٤م

٢٠- محمد إبراهيم نصر :النقد الأدبي في العصر الجاهلي وصدر الإسلام .القاهرةدار الفكر العربي ١٩٧٨م

٢١- محمد طاهر درويش : النقد الأدبي عند العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري .القاهرة دار المعارف ١٩٧٩م.

٢٢- محمد عبد الجواد : تقويم دار العلوم (العدد الماســـي) ٠القاهرة كلية دار العلوم ١٩٩١م ج٢

٢٣- محمد عبد الجواد : تقويم دار العلوم : إعداد محمد عبد الجواد ٠ القاهرة دار المعارف ١٩٦٠م

٢٤- محمد عبد الغني حســـن : جرجي زيدان : القاهرة الهيئة المصـــية العامة للتأليف والترجمة ١٩٧٠م (سلسلة أعلام العرب العدد ٩٠)

٢٥- محمد عبد المطلب :جدلية الإفراد والتجلي في النقد العربي القديم :القاهرة مكتبة الحرية ١٩٨٤م.

٢٦- محمد عزام : مصــطلحات نقدية من التراث الأدبي العربي دمشــق وزارة الثقافة ١٩٩٥م.

٢٧- محمد غنيمي هلال :الرومنتيكية .القاهرة نهضة مصر د.ت

٢٨- محمد مندور : الأدب ومذاهبه القاهرة مكتبة نهضة مصر د.ت

٢٩- مصري عبد الحميد حنورة :الدراسة النفسية للإبداع الفني :منهج وتطبيق. مقال بمجلة فصول القاهرية .المجلد الأول العدد الثاني يناير ١٩٨١م.

٣٠- منصــــور عبد الرحمن :اتجاهات النقد الأدبي من الجاهلية إلى نهاية القرن الرابع الهجري القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية د.ت

٣١- ميجان الرويلي و ســعد البازعي : دليل الناقد الأدبي ٠ الدار البيضــاء المركز الثقافي العربي ٢٠٠٠م

٣٢- وحدة النشر العلمي بكلية الآداب جامعة القاهرة : دليل كلية الآداب ٠القاهرة كلية الآداب ١٩٩٧م

٣٣- يوســف خليف :تاريخ الشـعر العربي في العصـر الإسـلامي .القاهرة دار الثقافة ١٩٧٦م.

٣٤- يوسف خليف:مناهج البحث الأدبي٠القاهرة دار الثقافة ١٩٩٧م ص٤٦

المراجع الأجنبية :

martin gray:a dictionary of literary terms . London .york press , librairie de liban ١٩٨٤ p.٥٧

الفهرست

رقم الإيداع	٤١٢٩/٢٠٠٣م
الترقيم الدولي	i.s.b.n.٩٧٧-٢٤١-٤٧٨-٣

العمرانية للأوفست

الجيزة ت : ٧٧٩٧٥٥٠

